الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي– تيسمسيلت –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي الموسومة بـ :

سؤال القيم في شعر الصعاليك

(لامية العرب أنموذجا)

تخصص: أدب عربي قديم

من إعداد :

- شعشوع سومية
- بلعبدي سومية

إشراف الدكتور :

فايد محمد

السنة الجامعية :

2019م – 2020م

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي– تيسمسيلت –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي الموسومة بـ :

سؤال القيم في شعر الصعاليك

(لامية العرب أنموذجا)

تخصص: أدب عربي قديم

من إعداد :

- شعشوع سومية
- بلعبدي سومية

إشراف الدكتور :

فايد محمد

السنة الجامعية :

2019م – 2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

عملا بقوله « **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** » سورة ابراهيم الآية 07.

نحمد الله تعالى على توفيقه لنا في اتمام هذا البحث، نتقدم بأسمى معاني الشكر الجزيل، والعرفان الخالص إلى :

الأستاذ الدكتور الفاضل **فايد محمد** الذّي تولى إرشادنا ونصحنا طوال فترة الدراسة ولم يبخل علينا بتوجيهاته وإرشاداته فقد كانت لتوجيهاته القيّمة الأثر الأكبر في إخراج هذا البحث.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر أجزله إلى **لجنة المناقشة** على تفضلهما بطيب نفس ورحابة صدر بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإلى جميع أساتذة القسم

- **قسم اللغة والأدب العربي** -.

إلى العاملين في مكتبة المركز الجامعي – **تيسمسيلت** – وإلى جميع عمال الجامعة من العميد إلى البواب، نسأل الله عز وجل أن يجزيهم عنا خير جزاء .

وإلى الذّين لم يبخلوا علينا بنصائحهم السديدة، وتوجيهاتهم القيمة سواء من قريب أو من بعيد

وإلى زملاء الدفعة كل باسمه .

فإليهم جميعا كل الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل، ونسأل الله أن يرعاكم وعلى الخير يسدد خطاكم.

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، أمّا بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من نزلت في حقهما هاتين الآيتين:

« **وَقُلْ رَبِي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَيانِي صَغِيرًا** » سورة الإسراء 23-24

و« **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه إِحْسَانًا**» سورة الأحقاف 14-15

صدق الله العظيم

إلى أبوة منحتني كل ما أعتز به من قيم الحياة المثلى ومبادئها السامية

أبي الغالي

إلى الشريان الذّي يمدني بأسباب القوة في تخطي العقبات ومواصلة الحياة

أمي الغالية

إلى من تجمعني بهم صلة الرحم ورابطة الأخوة والدم

إخوتي وأخواتي

إلى المخلصين الذّين يدركون كنه الحياة ويعرفون معنى الصداقة

صديقاتي

إلى من كانت معي منذ البداية وحتى النهاية طوال مدة العمل

سومية

إلى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل من أساتذة وطلبة وعمال، وفي الأخير أرجو من الله أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المقبلين على التخرج

سومية – سومية

مقدمة

ظل الأدب العربي القديم، شعره ونثره، محافظا على تألقه وسحره، باسطا سلطته على كثير من النفوس، هذا ما جعل الدراسات والأبحاث في العصر الجاهلي واسعة النطاق بما فيه من تأثر بالبيئة من الإطار الزماني والمكاني وهذا ما يجعل الحياة الاجتماعية مزدهرة بالفنون الشعرية فيه، فإذا أمعنّا النظر في الشعر الجاهلي وجدناه تعبيرا عن حياة العرب في الجاهلية بجميع نواحيها وقد لا نأتي بجديد إن اعتبرنا شعر الصعاليك صنفا مهما من أشعار البادية وإن كان أفراده فئة مهمشة في المجتمع العربي القديم، فشعرهم كان نمطا اجتماعيا فكريا مغايرا لما كان سائدا في ذلك العصر، وعليه جاءت دراستنا موسومة بـ : سؤال القيم في شعر الصعاليك (لامية العرب نموذجا).

ففي سبيل الوقوف عند الإطار المفاهيمي للصعلكة ومعرفة القيم في شعر الصعاليك بشيء من العمق فإن التساؤلات التي سنحاول البحث عن إجابات تقريبية لها هي:

- ما مفهوم الصعلكة ؟
- وما هي الدوافع التي ساعدت على ظهور الصعلكة ؟
- من أبرز الشعراء الصعاليك؟
- ما هي أهم الموضوعات التي تناولها الشعراء الصعاليك ؟
- وماهي أبرز القيم التي تفرد بها هذا الشعر عن غيره ؟

وأسئلة عديدة سنحاول الإجابة عليها في متن البحث، ولقد ناسبنا في تحليل أفكار بحثنا هذا المنهج الوصفي التحليلي ذلك أن ظاهرة الصعلكة تستدعي تحليل أسبابها ودوافعها.

ورغبة منا في استيعاب أصول هذا البحث ارتأينا معالجة الموضوع من خلال خطة أوردناها على النحو الآتي: قامت خطتنا على مقدمة وانتهت بخاتمة، كما اشتملت على مدخل وفصلين .

ف:**المقدمة** كانت عبارة عن تمهيد عام للدخول في صلب الموضوع ومعرفه الإشكالية التي سنحاول الإجابة عنها لاحقا، أمّا **المدخل**: عنونّاه بالإطار المفاهيمي للصعلكة، كان عبارة عن جانب نظري، تناولنا فيه الصعلكة من حيث مفهومها اللغوي والاصطلاحي والأدبي، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى ظهورها كظاهرة، وفيما تجلت أبعادها الاجتماعية، أمّا **الفصل الأول**: جاء تحت عنوان الشعراء الصعاليك بيوبيليوغرافيا، تطرقنا فيه إلى نبذة عن حياة بعض الصعاليك ومحاولة التعرف على شعرهم وثقافتهم وأهم المميزات والخصائص التي اتسم بها شعر الصعاليك و**الفصل الثاني**: عنونّاه بالقيم في شعر الصعاليك تطرقنا فيه للقيم التي تضمنها شعر الصعاليك وقمنا بدراسة تحليلية للامية العرب للشنفرى كنموذج تطبيقي، وخلصنا في النهاية كما هو متعارف عليه إلى **خاتمة** لخصنا من خلالها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

ولقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع راجع إلى أسباب ذاتية وهي الرغبة في الكشف عن شعر الصعاليك ومعرفة طبيعة حياتهم والخصائص الفنية لشعرهم، وأخرى موضوعية تتمثل في أهمية الموضوع نفسه الذي أصبح مثيرا للجدل والبحث.

ولا شك أن مدة البحث طالت وربما كثيرا، وهذا نتيجة ظروف حالت بيننا وبين سرعة إتمامه، وتتمثل هذه الظروف في جملة من الصعوبات واجهتنا أثناء جمعنا لمادة هذا البحث المتواضع ويمكن تلخيص تلك الصعوبات التي كان في مقدمتها قلة المراجع الخاصة بهذا الموضوع، بالإضافة إلى الاضطرابات التي حدثت في البلاد والعالم أجمع التي أدت لغلق الجامعة مما جعل من الصعب الالتقاء بالأستاذ المشرف والذهاب لمكتبة الجامعة .

ومن أجل الإلمام بموضوع البحث والتوغل فيه أكثر استعنا بجملة من المراجع والمصادر المتنوعة التي كان لها من الأثر في إمدادنا بالمادة اللازمة التي يحتاجها البحث، أهمّها:

- يوسف خليف الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي.

- عبد الحليم حفنى شعر الصعاليك منهجه وخصائصه .
- شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي.
- عمر فروخ تاريخ الأدب العربي.
- ديوان الشنفرى .
- ديوان تأبط شرّا.
- ديوان عروة بن الورد.

وختاما نشكر الله عز وجل الذي وفقنا في إنجاز هذا البحث، كما نوجه شكرنا الجزيل إلى أستاذنا المشرف –فايد محمد– الذي أفادنا بتوجيهاته التي أضاءت لنا البحث وقربت اهدافه، فجزاه الله عنا خير جزاء ونشكر جميع الأساتذة الأفاضل الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم، وإلى كل صديق سارع إلى مد يد العون ولو بكلمة، فإن أخطأنا فمن أنفسنا، وما كان من فضل في ذلك فمن الله سبحانه وتعالى، وحسبنا أننا اجتهدنا وبذلنا قصار جهدنا والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

تيسمسيلت يوم: 11 أفريل 2020

شعشوع سومية

بلعبدي سومية

مدخل

الإطار المفاهيمي لظاهرة الصعلكة

- الصعلكة في الدلالة المعجمية والاصطلاحية
- أسباب الصعلكة
- الأبعاد الإجتماعية للصعلكة

تمهيد:

يعدُ الشعر الجاهلي تراثا غنيا وضروريا بالنسبة للعرب الذين عنوا وتمسكوا بنسبته إليهم لما كان يمثله من تصوير لحياتهم والتعبير عن أفكارهم وذكر مآثرهم ونظرا لاعتماد الشعر الجاهلي في انتقاله ونشره على الرواية الشفوية كان من الطبيعي أن يتعرض الكثير منه للضياع والتحريف.[1]

فقد وصلنا الكثير من الآثار الأدبية لتلك الحقبة الجاهلية سواء كانت منطوية تحت نظام القبيلة وقانون المجتمع أو متمردة عليه خارجة عنه وفي إطار هاذا الأخير نجد أبرز نموذج هو ما تركه من كانوا يُسمؤن آنذاك بـ: **الصعاليك** من شعر أو ما رُوي عنهم من أخبار وقصص، بَقيت محل إشكال رغم تداول القراءات المتنوعة عليها، فما المقصود بالصعاليك ؟ وماهي أبرز الأسباب التي كانت وراء نشوء هذه الظاهرة وماهي خلفياتها الاجتماعية ؟

وقبل التعرف على ظاهرة الصعلكة وأسباب ظهورها نسلط الضوء على الحقبة التي ظهرت فيها.

❖ العصر الجاهلي:

يمكن تحديد العصر الجاهلي بـ: مائة وخمسين عاما قبل الإسلام، وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هاذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه إنمّا هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والطيش والحمق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع لله عزّ وجلّ ودارت الكلمة في

[1]– ينظر، أحمد عوين، من قضايا الشعر الجاهلي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2002م، ص12.

الذكر الحكيم والحديث النّبويّ والشّعر الجاهلي[1]. هاذا ما نجده في قوله تعالى: «**قَالوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ**»[2].

وقوله أيضا: «**خُذ العَفْو وأمُر بالمعْرُوفِ وأعْرضْ عَن الجاهِلِين** »[3].

وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي يقول:

«**أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا**» [4]

وينسب على النبيّ صلى الله عليه وسلم قوله إلى أبي ذر الغفاري حين عيّر بلالا الفارسي بسواد أمه:«إنك رجل فيك جاهلية».[5]

ويتضح في قول أبو هلال العسكري أن الشعر الجاهلي ديوان العرب: «**لانعرف أنساب العرب، وتواريخها، وأيّامها، ووقائعها، إلا من جملة أشعارها فالشّعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها ومستودع علومها**».[6]

❖ **الصعلكة :**

1–مفهومها : لعّل أول ما يعنينا في فاتحة الحديث هو التعرف على المعنى اللغوي و الاصطلاحي للصعلكة والأسباب التي دفعت لنشوئها.

---

[1]- ينظر، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط11، ج1، ص39.

[2]- سورة البقرة، الآية 67 .

[3]- سورة الأعراف، الآية 199.

[4]– أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط5، ص426.

[5]–واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994م، ص18.

[6]- يحي الجبوري، الشّعر الجاهليّ خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، 1986م، ط5،ص25.

1-أ-في اللغة : إن المتصفح لمعاجم اللغة العربية يجد أن كلمة صعلكة وردت لتدل على الفقر.

ففي لسان العرب:« الصعلوك: الفقير، الذي لا مال له، زاد الأزهري ولا اعتماد. وقد تصعلك الرّجل إذا كان كذلك».[1] فالصعلكة وردت في لسان العرب لتدل على الفقر .

والمعنى نفسه نجده في قول حاتم الطائي:

«عُنينا زَمَانًا بِالتَّصَعْلُكِ وَالغِنى، كَما الدَّهْرُ، فِي أَيَّامِهِ العُسْرُ وَاليُسْرُ

فَمَا زَادَنَا بَأْوًا، عَلى ذِي قَرَابَةٍ، غِنانَا، ولَا أَزْرى بِأَحسابِنا الفَقْرُ»[2]

وكذلك يقول الأعشى:

«على كل أحوال الفتى قد شربتها غنيا وصعلوكا وما إن أفاقها»[3]

وروي أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:« كان يستفتح بصعاليك المهاجرين أي يستنصر بفقرائهم.

والطرح نفسه نلمسه في قول جابر بن ثعلبة الطائي:

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا»[4]

وكل هذه النصوص لا تدع مجالا للشك في أن الصعلكة هي الفقر.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، مج8، 1863م، ص243.

[2]- ديوان حاتم الطائي، تحقيق أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م، ص24.

- أزرى : عاب.

[3]- ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح محمد حسين، منشورات مكتبة الآداب، مصر، د ط، ص85.

[4]- أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط2، ص231.

وإذا أردنا أن نتعرف على معنى آخر للصعلكة نجد إشارات لمعنى ذئب، «وصعاليك العرب ذؤبانها، وكان عروة بن الورد يسمّى: عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم ممّا يغنم».[1] فالصعلكة هنا هي الفقر الذي يجعل الإنسان لصا وقاطع طريق فيحيا في الصحراء حياة الذئاب .

ويقال أنّه لُقِبَ بعروة الصعاليك لقوله:

«لحَى الله صُعلُوكًا إذَا جن ليلَهُ مصافي المشاشَ آلفًا كل مجزر

يعد الغنى، من نفسِه، كلَّ ليْلة أَصابَ قِراها من صديق ميَّسر

وَلكن صعلوكًا، صَفيحَة وجهِه كَضَوْءِ شهَاب القابسِ المتنور»[2]

ممّا سبق نلاحظ أن الآراء لم تختلف في ضبط المفهوم اللغوي للصعلكة والصعاليك إذ أنّ معظم العلماء ربطوه بالفقر.

1-ب- في الاصطلاح: بعد الإشارة إلى المعنى اللغوي للصعلكة ننتقل الآن إلى معناها الاصطلاحي.

أما **الصعلكة** في **الاصطلاح** تدل على سلوك اجتماعي معين يصدر من شخص أو أشخاص، وهي ذلك السلوك العدواني الذي اتّخذه أصحابه من الفقراء ذوي النفوس القوية والهمم العالية كسبيل للاستغناء والهرب من ذل السؤال.[3]

[1]- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية للكتاب، د ط ،1987م، ص17.

[2]- ديوان عروة بن الورد، تح أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، د ط،1992م ، ص68.

[3]- ينظر، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص38.

ويعّرف **الصعاليك** أنهم هم الفقراء، ولم يكونوا فقراء فقط بل كانوا فقراء شجعانا أقوياء أصحاب حس مرهف مدركين لما بينهم وبين الأغنياء من فوارق، هذا ما جعلهم يتألمون لخلاء أيديهم من المال وتحقيق الحياة التي يرضون بها[1].

كما نجد أيضا أن كلمة الصعلكة دخلت في أفق اجتماعي واسع حددّه يوسف خليف فقال:« وأمّا الدائرة الاجتماعية وفيها نرى المادة تتطور لتدل على صفات خاصة تتصل بالوضع الاجتماعية للفرد في مجتمعه، وبالأسلوب الذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع ».[2] من أجل هذه الغاية وهي تحقيق التوافق الاجتماعي بينه وبين سائر أفراد مجتمعه يتخذ من الغزو والإغارة وسيلة يشق بها طريقه في الحياة.

1-جـ- في الأدب: إذا كان مفهوم الصعلكة في اللغة يعني الفقر فمدلولها يختلف في الأدب ، ونلمس ذلك في قول الشاعر عمرو بن براقة :

« تَقُولُ سليمى: لا تعرض لتلفةٍ وليلك عَنْ ليْلِ الصَعاليكِ نَائِمُ

وكيفَ ينَامُ اللَّيْلَ من جل ماله حسامٌ كلوْنِ الملح أبيضٌ صارِمُ

غموض إذا عضّ الكريهة لَمْ يدع لهُ طمْعا طوعُ اليَمِين مُلازِمُ

ألَم تعلَمي أنَّ الصَعَاليك نومَهم قلِيل إذا نَام الخليّ المُسالِمُ »[3]

الواضح في هذه الأبيات:« أن الصعاليك هنا ليسوا أولئك الفقراء المعدمين الذين يقنعون بفقرهم أو يستجدون ما يسدون به رمقهم، وإنّما أولئك المشاغبون المغيرون أبناء الليل الذين

[1]- ينظر، ديوان عروة بن الورد، تح أسماء أبو بكر، ص34.

[2]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 26-27.

[3]- شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة، سيرته وشعره، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن،ط2005،1، ص109-110.

يسهرون لياليهم في النهب والسلب والإغارة بينما ينعم الخليّون المترفون المسالمون بالنوم والراحة والهدوء. فالكلمة إذا قد خرجت من الدائرة اللغوية، دائرة الفقر إلى دائرة أخرى أوسع منها هي دائرة الغزو والإغارة للنهب والسلب».[1] نستخلص ممّا سبق أن المفهوم اللغوي للصعلكة والصعاليك ارتبط بالفقر، لكن المفهوم الاصطلاحي ربطها بالسلوك العدواني الناتج عن الحالة الاجتماعية السائدة آنذاك أمّا في مفهومها الأدبي فاتخذت مدلولا آخر أوسع وهو النهب والسلب.

2-نشأة وأسباب الصعلكة:

2-1- نشأة الصعلكة: من الصعب تحديد بدء الصعلكة من الناحية الزمنية وذلك لأكثر من سبب، فن ذلك أن التاريخ العربي نفسه قبل الاسلام غير محدد على وجه الدقة والمؤرخون حين يحددون بدء التاريخ يلجؤون غالبا إلى أمرين أحدهما: روايات المؤرخين وكتاباتهم، والآخر الآثار التي تركها أجيال هذه الأمة، بحيث يمكن مقارنة آثار جيل بجيل آخر، ولكن الجزيرة العربية لظروف كثيرة مرت بها لم يبق لنا من تاريخها قبل الإسلام إلا هذه الروايات المتناثرة.[2]

والصعلكة لم تكن حدثا من الأحداث الطارئة في حياة المجتمع العربي، وإنما كانت ظاهرة نبعت من ظروفه ولازمته كجزء منه، وكذلك لا نتوقع أن يكون لها تاريخ مستقل وإنما يرتبط تاريخها بتاريخ المجتمع نفسه ونتيجة لذلك نجد أن الصعلكة لازمت كل العصور الجاهلية التي ورد لنا منها تاريخ .[3]

[1]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص25.

[2]- ينظر ، عبد الحليم حفنى ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص 39-40.

[3]- ينظر عبد الحليم حفنى ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص40.

2-2- أسباب الصعلكة:

لكل ظاهرة في أي زمان ومكان دوافع وأسباب وراء نشأتها والصعلكة لم تأْت من فراغ فهناك ظروف ساهمت في ظهورها ومن بين هذه الأسباب:

2-2-أ-الفقر: لاشك أن أوّل ما نلمسه في حياة الصعاليك هو الفقر الشديد الذي لازمهم منذ نشأتهم والذي كان من أبرز الأسباب التي دفعتهم إلى الصعلكة، ولذلك نجد الروايات تربط غاراتهم وغزواتهم بالفقر، هذا ما شجّع الشعراء الصعاليك ودفعهم إلى التمرد لتأمين لقمة العيش.[1]

وقد تحدث الشعراء الصعاليك عن صراعهم مع الفقر ومواجهتهم له، هذا ما نجده في قول عروة بن الورد:

« دعيني للغنى أسعى فإنّي رأيت الناسّ شرُّهُم الفقيرُ

وأبعدُهم و أهونُهم عليهم . وإن أمسَى لهم حسبٌ وخيرُ

ويقصيه الندى ، وتزْدرِيهِ حَليلتُه ، وَينهَرُه الصَغيرُ

ويُلقى ذو الغِنى ،ولَه جَلالٌ . يكَاد فؤادُ صاحبه يَطِيرُ

قلِيل ذنْبه، والذَّنْب جَمٌ. ولكن للغِنى رَب غَفورُ »[2]

نجد عروة في هذه الأبيات يرفض أن يكون الغني هو السيّد والفقير هو المنحط فهو يرى أن لا حياة للفقراء في مجتمع يحل للأغنياء ويتجاوز أخطائهم ويحتقر الفقير لا لشيء سوى فقره.

[1]- ينظر ، أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، تح عبد الستار أحمد نزاج ،دار الثقافة ، بيروت -لبنان،ط5، 1981م ، ص82.

[2]- ديوان عروة بن الورد، ص79.

2-2-ب-الظلم : إذا كان الفقر أوّل أسباب الصعلكة فثانيها هو الظلم الذي عاشه الصعلوك داخل مجتمعه، كان النظام القبلي هو السائد في الجزيرة العربية وكلّما كانت القبيلة قوية كانت أقدر على بسط سيطرتها وفرض رؤيتها على غيرها، فالصعاليك رفضوا الخضوع لذلك لأنهم لا يؤمنون بأي سيطرة من أي نوع.[1]

ونجد أن رفض الصعاليك للظلم والسلطة واضح وجليّ في قول الشنفرى :

« أَقيمُوا بَنِي أُمِّي صُدورَ مَطِيّكُمْ فإِنِّي إِلَى أهلٍ سِواكُمْ لأَمْيلُ
فقدْ حمت الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطَيَاتِي مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وَفِي الأَرْضِ مَنْأَى للْكَرِيم عَن الأَذَى وَفيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ
ولي دُونَكُم أَهْلُونَ: سَيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقطُ زُهْلُولٌ وعَرفَاءُ جَيْأَلُ
هُمُ الرَّهْطُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ شَائِعٌ لَدَيهِم وَلَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ»[2]

فالشنفري هنا اتخّذ من الحيوانات مجتمعه الجديد لأنهم أحفظ للسّر وأقدر على حمايته ونصرته أكثر من أهله الذين ظلموه وقاموا بطرده .

2-2-جـ-قسوة البيئة : نجد في كثير من شعر الصعاليك تصوير واضح لجوانب الطبيعة القاسية التي كانوا يَحْيَون فيها ، كقول الشنفرى :

« وَلَيْلَةٍ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّهَا وَأَقْطُعَهُ اللاَتِّي بِهَا يَتنَبَّلُ
دَعسْتُ علَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ وصُحْبتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفَكَلُ »[3]

يصف الشنفرى البرد الشديد الذي يجعل صاحب القوس يكسرها وهي التي لا غنى له عنها.

---

[1]- ينظر، عبد الحليم حفنى، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص46.

[2]- محمود حسن أبو ناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، سحب الطباعة الشعبية للجيل، الجزائر، 2007م، ص113.

[3]- ديوان الشنفرى، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996م،ص69-70.

والطرح نفسه نجده في قوله أيضا:

« ويَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ أَفاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلْملُ
نَصبْتُ لهُ وَجْهى وَلاكِنَّ دُونَهُ ولا سِتْرَ إِلّا الأَتحَمِيُّ المُرَعْبلُ »[1]

ونلمس أيضا طبيعة البيئة القاسية في قول امرؤ القيس :

« ووادٍ كَجوْفِ العيْر قفْرٍ قطعتُه بِه الذِّئبُ يَعوِي كالخليع المُعَيِّلِ
فَقلْت له لمَّا عَوى إنَّ شأنَنَا طَويلُ العنَى إنْ كنتَ لمَّا تَموَّلِ
كلانَا إذَا مَا نَالَ شيئًا أفَاتهُ وَمنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وَحرثَكَ يُهْزَلِ»[2]

في هذه الأبيات نجد امرؤ القيس يصف واديا مجدبا مقفرا لا حياة فيه، تعوي فيه الذئاب الضارية وهذا يعكس جانب من جوانب البيئة القاسية التي كان يحيا الصعاليك فيها.

2-2-د-التمرد على القبيلة: إن تمرد الصعاليك على القبيلة كان تمردا على نظامها وقوانينها وعاداتها وقيمها، فـ« إن الشذوذ وسوء الخلق لا يكاد يخلو منه مجتمع وكان يقابل في الجاهلية بنظام قبلي صارم، وبعقوبة شديدة في الإسلام، ففي الجاهلية كانت القبيلة تتبرأ من الشخص الذي تكثر جرائمه وخباياه».[3] فهؤلاء الصعاليك أمضوا حياتهم في مزاولة الأعمال العدائية من سطو وقطع للطريق واعتداء على الممتلكات.

3- موضوعات شعر الصعاليك: موضوعات شعر الصعاليك عامة وليست خيالية تعنى بواقعهم وأشخاصهم ومنها:

3-أ/ الفخر: يعد الفخر صفة مشتركة بين الشعراء جميعا إذ لا نجد شاعر لم يفخر بنفسه حتى و إن لم يستحق من الفخر شيئا، ونجد الفخر بارز في موضوعات الصعاليك « لأنهم كانوا شجعانا

[1]- ديوان الشنفرى، تح إميل بديع يعقوب، ص71.
[2]- ديوان امرؤ القيس ، تح محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ،ص372.
[3]- الأصفهاني ، الأغاني ، ط8، 1990م ، ص137

مغامرين لا يبالون بالموت في سبيل تحقيق أغراضهم ، فحياتهم تتطلب هذه الصفات فهم كانوا دائما في حالة مطاردة و كرّ و فرّ وتضرب بهم الأمثال في شدة العدو فيقال: أعدى من الشنفرى».[1] فالشعراء الصعاليك كانوا دائمي الفخر بأنفسهم وبشجاعتهم وبسرعة حركتهم وعدوّهم.

وما يؤكد ذلك هو جواب عروة لزوجته التي كانت تلومه على حياته القائمة على المخاطر :

«أَقلِي عليَّ اللومَ يَا بنتَ مُنذرْ وَنامِي، وَإنْ لمْ تشْتَهِي النوم ،فاسهر ي
ذُريتِي، ونفسِي، أم حسَان، إنَنِّي بِها ، قبلَ أن لَا أمْلكَ البيْعَ، مُشتَرِي
أحاديث تبقَى، والفتَى غير خالدِ، إذَا هوَ أمسَى هامةً فَوْقَ صُيَّرِ
تجاوبُ أَحجار الكِناسِ، وتشتكي إلى كلّ معرُوفٍ رَأته، ومُنكَرِ
ذريتي أطوف فِي البلَاد، لَعلّنِي أخل ك، أو أُغنيكَ عن سُوء محضرِي
فَإن فاز سَهمٌ للمنية لم أكن جزوعًا، وهلْ عنْ ذاكَ متَأخر ؟ »[2]

فالصعلوك الحقيقي عند عروة هو الصعلوك الجريء المغامر الذي يرعب أعدائه ولا يبالي بهم.

3–ب/ المغامرة: هي ظاهرة طبيعية لفئة من الناس اتخذت من الغزو والنهب قانون حياتها وتسلّحت بالقوة و الرجولة، فالشعراء الصعاليك يصفون كل ما يحدث في مغامراتهم منذ الشروع في وضع خطة الغارة إلى أن تنتهي بتحقيق أهدافها ونجدهم يصفون أثناء ذلك الطريق الذي

[1]– ينظر ، عبد الحليم حفنى ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص319.

[2]– ديوان عروة بن الورد ، تح أسماء أبو بكر ، ص67.

سلكوه ويتحدثون عن رفقائهم ودور كل واحد منهم كما يتحدثون عن كيفية انتهاء الغارة وعودة الفتيان الصعاليك إلى ملاجئهم .[1]

ونجد الشنفرى في قوله يصف غارة أغارها على بني سلامان فيقول :

« وَبَاضِعةٍ حُمرِ القِسِيِّ ، بعثْتُهَا وَمَنْ يَغْزُ يَغْنَمْ مَرَّةً ، وَيُشَمَّتِ
خَرَجْنَا مِنَ الوَادِي الذي بَينَ مِشْعَلٍ وَبَينَ الجَبَا هَيْهَاتَ أنْشَأتُ سُرْبَتِي
أُمَشِّي عَلَى الأرْضِ التي لَنْ تَضُرَّنِي لِأَنْكِيَ قَوْمًا أَوْ أُصَادِفَ حُمَّتِي»[2]

نرى أن الشنفرى في مستهل وصفه تحدث عن أنّه كان يقود رفقائه وذكر الطريق الذي سلكوه وأنهم كانوا راجلين.

3–ج/ أحاديث الفرار: يتحدث الشعراء الصعاليك كثيرا عن فرارهم وهربهم ويتكلّمون عنه دون أي حرج أو خجل وهذا طبيعي لمثل أولئك الناس الّذين يعتمدون في حياتهم على الغزو فهم يصوّرون في فرارهم سرعة العدوّ التي يمتلكونها ويعتزّون به. ومنه نجد أن افتخار الشعراء الصعاليك بفرارهم واضح وجلّي وذلك لتحدثهم عنه دون أي إحراج أو خجل .[3]

3–د/ وصف الأسلحة: يعتبر السّلاح هو الوسيلة المتعارف عليها لدفاع الشخص به عن نفسه «ويتحدث الشعراء الصعاليك عن الأسلحة في شعرهم ، فهي القوة الثالثة التي يعتمدون عليها في مغامراتهم بعد قوة قلوبهم وأرجلهم، تلك القوة التي تقوم عليها حياة الصعلوك والأسلحة التي يصفونها هي التي كان يعرفها عامة العرب في الجاهلية ».[4] فالسلاح عند الصعاليك مع قوة قلوبهم وأرجلهم يشكّل ثالوثا في نفوسهم ليكونوا أقوياء أكثر.

---

[1]– ينظر ، حسن السرباز ، الصعاليك وشعرهم في العصر الجاهلي ، مجلة آفاق للحضارة الإسلامية، ع25 ، ص48.

[2]– ديوان الشنفرى ، تح اميل بديع يعقوب ،ص34–35.

[3]– ينظر ، عبد الحليم حفنى ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ،ص233.

[4]– يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ،ص195.

ونجد الشنفرى مثلا يصف السّيف والقوس في قوله:

« وَإِنِّي كَفانِي فَقْدَ مَن ليْسَ جَازِيًا بِحُسْنَى وَلَا فِي قَلْبِهِ مُتَعَلَّلُ
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ : فُؤَادٌ مَشَيَّعٌ وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ تَزِينُهَا رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ»[1]

فالشنفري هنا يصف السيف والقوس ويعدّهما من الأشياء الثلاثة التي تغنيه عن كل شيء.

❖ المظاهر الاجتماعية وأثرها في حياة الصعاليك:

الصعلكة عبارة عن ظاهرة اجتماعية برزت على هامش الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي كرد فعل على بعض الممارسات الاجتماعية، فهي عبارة عن ثورة ضد الأغنياء الذين كانوا يهاجمونهم (الأغنياء يهاجمون الصعاليك) في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية.

إن أوّل شيء يمكننا الحديث عنه في هذا الجانب هو أخبار الصعاليك فهي حافلة بالحديث عن فقرهم فكل الصعاليك فقراء لا نستثني منهم أحدا حتى عروة سيّدهم الّذي كانوا يلجؤون إليه كلمّا قست عليهم الحياة ليجدوا عنده مأوى لهم، وهاذا الفقر في حياة الصعاليك حمل لهم في ركابه الجوع وهاذا الاخير هو أقسى ما يحمله الفقر إلى جسد الفقير فقد سئل أعرابيّ: ما أشد الأشياء؟ قال: كبد جائعة تؤدي إلى أمعاء ضيّقة، نجد أن عبارة الأعرابي صورة لقصة الحياة الأساسية وقصة الصراع بين الموت والحياة بسبب الفقر لأنه يعد أوّل الدوافع المسيطرة على حياة الإنسان.[2]

والمتتبع لأخبار الصعاليك يلاحظ أنه« يكثر الحديث عن الجوع في أخبار الصعاليك وشعرهم، ففي أخبار عروة أنّ أناسا من بني عبس أجدبوا —في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم

[1]– ديوان الشنفرى ،تح اميل بديع يعقوب ،ص60

[2]– ينظر، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص29.

وأصابهم جوع شديد وبؤس – فأتوا عروة يستنجدون به فخرج ليغزو بهم ويصيب معاشا».[1] فقد أثرت الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي بتقاليدها وأعرافها القبلية في شعر الصعاليك تأثيرا واضحا وبدت صرخات الفقر والجوع واضحة في الكثير من أشعارهم .

ويمكننا حصر مجموعة من المظاهر التي كان لها الأثر الكبير في حياة الصعاليك وهي متمثلة في كون الشاعر الصعلوك مظلوم :

إن المتتبع لشعر الصعاليك يحس في شعرهم عدم الرضا عن القبيلة والأهل ونلمس ذلك في قول عروة بن الورد:

« وسائلةٍ: أَينَ الَرحِيلُ؟ وسائلٍ ومنْ يسألُ: الصعلوكَ: أينَ مَذَاهِبُهُ؟

مذاهبُهُ أن الِفجَاجَ عَريضَةٌ إذا ضنَّ عنه، بِالفعَالِ، أقاربُه »[2]

قرّر عروة المبدأ الذي يراه صحيحا إذا تخلّى عنه أهله ولم يجد عندهم عوضا عمّا أصابه الدّهر به وهو أن يقبل الحياة الذليلة والموت أشرف له من ذلك أو يكمل حياته متصعلكا.

ونلحظ ذلك أيضا في قول الشنفرى :

«هُمُ الأهْلُ لا مُسْتودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ »[3]

فالشنفري يفضّل الذئاب على أهله لأنها لا تخذل أفرادها إن ارتكب أحدهم جرما فهي في كل الأحوال أفضل من أهله.

إنّ عدم امتلاك الصعاليك ما يفخرون به من نسبهم لم يمنعهم ذلك من منح أنفسهم مكانة عالية وعزة نفس كبيرة ، عدا عروة الذي اعترف بوضاعة نسبه من جهة أمه فيقول :

«لَا تَلُمْ شَيْخِي، فَمَا أدْرَى بِهِ غيرَ أَن شَارك نَهْدًا فِي النَسَبِ

كان في قيسٍ حَسيبًا مَاجداً، فأتت نَهْدٌ على ذاك الحَسَبِ »[4]

---

[1]- يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص30.

[2]- ديوان عروة بن الورد ، ص48.

[3]- ديوان الشنفرى ، تح اميل بديع يعقوب ، ص59.

[4]- ديوان عروة بن الورد ،ص46.

الفصل الأوّل

الشعراء الصعاليك بيوبيبليوغرافيا

- الشعراء الصعاليك
- شعر الصعاليك
- خصائص شعر الصعاليك

❖ **بيوبيبليوغرافيا الصعاليك** :

من خلال تتبعنا شعر الصعاليك رأينا أنهم جميعا سلكوا جميعا أسلوبا واحدا في الحياة آمنوا بأنه الأسلوب الوحيد الذي يستطيعون به أن يرفعوا عن أعتاقهم ما فرضته عليهم ظروف مجتمعهم وتقاليده وإذا كان الصعاليك قد اجتمعوا على فكرة التمرد والتشرد والحرية والنهب والسلب ....فإن لكل واحد منهم أفكاره التي بنت شخصيته وكانت سبب تمرده وهاذا ما سنتطرق له في شخصية بعض أعلام ظاهرة الصعلكة :

1- عروة بن الورد:

حياته ونسبه: ينتهي نسب عروة بن الورد إلى قبيلة عبس، فهو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرّيم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس، فهو من هذه الناحية في شرف من قبيلته ولكن أباه كانت عبس تتشاءم به لأنه أوقع الحرب بينها وبين فزارة، أمّا أمه فلا نعرف عنها شيء سوى أنها قضاعية من نهد وهي عشيرة وضيعة وهاذا ما ألحق به العار.[1]

وجعله يقول :

« مَا بي مِن عارٍ إخَالُ علمتُهُ، سِوى أنَّ أخْوالِي ، إذا نسبوا، نَهْدُ»[2]

وهو عار دفعه إلى الثورة على الأغنياء واتجه إلى الصعلكة ليرفع من منزلته الاجتماعية في إطار مجتمع ظالم يزدري الفقراء .

لقب عروة بن الورد بعروة الصعاليك لأنه اتخذ من الصعلكة بابا من أبواب القيام على فقراء قبيلته وضعفائها وهدفه ليس الغزو والنهب بل ليعين الفقراء في قبيلته فيغيروا على من عُرفوا

[1]- ينظر ، يوسف خليف ، ص322.

[2]- ديوان عروة بن الورد ،تح أسماء أبو بكر ، ص56.

بالشح والبخل، ولا يرعون حقوق الانسان من أجل أن يحقق العدالة الاجتماعية ومن الناحية الفنية أن يقف موقف الداعية صاحب المذهب الذي يتخذ من شعره وسيلة للدعوة إلى مذهبه.[1]

شعره وديوانه: إن المتصفح لشعر عروة بن الورد يتضح له أن: «أخص ما يتميز به أسلوب عروة في شعره أنه أسلوب شعبي، فهو سهل اللفظ بالقياس إلى شعر سائر الصعاليك واضح المعنى قريب التعبير ن لا تكلّف فيه ولا تصنع... ثم البساطة في عرض الشاعر لمعانيه. ذلك العرض السهل الذي لا يقبل معارضة أو يثير جدلا والذي ينفذ إلى النفس من أقرب إلى السبيل».[2] هاذا ما جعل شعره قريبا إلى نفوس القراء لما حمله من قيم نبيلة وإنسانية.

إضافة إلى هذه الخصائص يقول منذر شعار بوجود خصائص أخرى، فشعره «حلو سائغ وهو إلى حلاوته متين القافية رصين التركيب فيه نصيب من التصوير وفيه حركة وحياة ».[3] فشهرة عروة كان سببها صدق شعره وإخلاصه وعفويته .

أمّا عن ديوانه فقد طبع أكثر من مرة، ويمكن أن يعد أكثر الشعراء الصعاليك تناولا لأغراض مختلفة من فخر وحكمة وهجاء وقد عدّه أبو عبيدة في الطبقة الثالثة من الشعراء وعدّه صاحب جمهرة أشعار العرب من الشعراء ذوي القصائد المنتقيات وهو من الشعراء القليلين الذين كان لشعرهم تأثير في الحياة الاجتماعية.[4]

سبق أن طبع ديوان عروة بن الورد أكثر من مرة نذكرها في ما يلي:

«- نشر نولدكه 1863م في 93صحيفة مع ترجمة ألمانية لمضمونه.

[1]- ينظر، سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الجاهلي ، دار المسيرة ، عمان –الأردن ،ط1، 2011،ص242.

[2]- غازي ظليمات ، الأدب الجاهلي قضاياه ،أغراضه ،أعلامه، فنونه ، دار الارشاد ، حمص، ط1، 1992م، ص 470.

[3]- غازي ظليمات ، الأدب الجاهلي ، ص470.

[4]ينظر ، عبد الحليم حفنى ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص115.

- طبع في بيروت سنة 1904م.

- طبع في القاهرة سنة 1923م.

- شرح الديوان محمد بن أبي شنب في الجزائر 1926م.

- شرح الديوان عبد المعين ملوحي، في القاهرة، 1966م.

- شرح الديوان كرم البستاني، في بيروت، عن دار صادر 1964م».[1]

توفي عروة بن الورد عام 596م مقتولا على يد رجل من بني طهية .[2]

2- الشنفرى :

حياته ونسبه: هناك اختلافات بين الرواة حول نسب الشنفرى ومولده، «فقال بعضهم إنّ الشنفرى لقب له واسمه عمرو بن براق أو ثابت بن أوس ، أو ثابت بن جابر على ثلاثة أقوال وقال بعضهم إنّ الشنفرى هو اسمه الحقيقي لا لقبه وذهب معظم العلماء إلى أن الشنفرى لقبه وهو يعني الغليظ الشفاه ولقب بذلك لعظم شفتيه، وهو من الأوس بن الحجر بن الهنيء بن الأزد بن الغوث شاعر جاهلي قحطاني من أهل اليمن ».[3]

وكان الشنفرى من أعدى عدّائي العرب حتى ضرب المثل بعَدْوِه، فقيل أعدى من الشنفرى ، وروى بعضهم أنهم قاسوا قفزات الشنفرى في عدوه، ولكن حتى ولو كانت المصادر العربية تتفق في جعل الشنفرى من الشعراء الصعاليك ، بل من أهمّهم فإنها تختلف في سبب صعلكته وهي لا تحدد ولا تذكر تاريخ بدئه بالصعلكة .[4]

---

[1]- ديوان عروة بن الورد، مقدمة المحقق، ص21.

[2]- ينظر، غازي ظليمات الأدب الجاهلي، ص465

[3]- ديوان الشنفرى، تح اميل بديع يعقوب ، ص9-10.

[4]- ينظر المرجع نفسه ، ص10.

شعره وديوانه : نتكلم الآن عن جزء مهم رسم شخصية الشنفرى وهو شعره، فقد ضاع أكثر شعر الشنفرى ولكن اشتهرت عند العلماء لاميته في الفخر والحماسة التي تعد أشهر ما نسب إليه، واختلف في نسبة هذه القصيدة فمعظم الرواة ذهبوا إلى أنّها للشنفرى وقال ابن دريد أنها لخلف الأحمر.[1]

فالمتأمل في شعر الشنفرى يتضح له أنه يتضمن « قوة نفسية هائلة وتحدٍ للظروف القاسية التي فُرضت عليه، وتمرد على الناس الذّين أذلّوه واستعبدوه، وتصوير للأسلحة والغارات ورثاء لأبيه وأخيه الذي مات صغيرا، ورثاء ليده التي قطعها بنو حرام من الكوع بعد أن شدّوا وثاقه، وتصوير لهزاله ونعليه الممزّقتين وثيابه الباليه، وتشردّه في الصحراء».[2] بالرغم من القسوة التي عاشها الشنفرى إلا أنه يملك قلبا لا يخلو من الرحمة واللين والحب والقيم الأخلاقية.

والشنفرى هو صاحب لامية العرب التي يفتخر الشعر العرّبي كله باحتوائه على مثلها والتي فتنت المستشرقين فأولعوا بها وبترجمتها، والتي حظيت منذ القديم بإعجاب الأدباء والنقاد حتى نجد الزمخشري أفرد لها كتابا لشرحها هو-أعجب العجب في شرح لامية العرب-.[3]

والملاحظ من أشعار الشنفرى أنه كان أبيا شريفا متصفا بجملة من القيم الأخلاقية الكريمة وما يدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « علّموا أبناءكم لامية العرب فإنّ فيها القناعة والشجاعة. وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: علّموا أولادكم لامية العرب فإنّها تعلّمهم مكارم الأخلاق».[4] فلامية الشنفرى كانت حافلة بجملة من الأخلاق والقيم النبيلة .

[1]- ينظر، ديوان الشنفرى، ص 15-16.

[2]- غازي ظليمات، الأدب الجاهلي، ص484.

[3]- ينظر ، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص112.

[4]- محمود حين أبو ناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، ص60.

ويمكن ردُّ ما اتصف به الشنفرى من بعض القيم السلبية إلى الظروف القاهرة التي كان يعيشها والتي جعلت قلبه يقسوا نوعا ما « وقد يتغير حسن الخلق والوطاء إلى الشراسة والبذاء لأسباب عارضة، وأمور طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة، والطلاقة عبوسا».[1] هاذا ما دفع الشنفرى إلى فعل أشياء خارج طبيعته التي فطر عليها وحمّل مسؤولية ما قام به من تصرفات سلبية إلى النظام القبلي التي كان سائدا في تلك الفترة.

أمّا المتصفح لديوان الشنفرى فيلفت نظره أنّ له ديوان شعر ضخم خضع لعدة شروح وتحقيقات وطبع أكثر من مرة، وقام عبد العزيز الميمني أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة بالهند بنشر ديوانه في كتاب الطرائق الأدبية.[2]

3- تأبّط شرّا :

حياته ونسبه : بالرجوع إلى الديوان نجد أنه هو:« ثابت بن جابر بن سفيان بن عُمَيْثَل بن عديّ بن كعب بن خزن وقيلَ حرب ، بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مصر، بن نزار».[3] ، توفي أبوه وهو صغير ، أمّا أمه فهي أميمة قيل أنّها أَمَةٌ سوداء من فهم وقد ورث ثابت منها السواد لذى عدّ من أغربة العرب ويقال أن أمّه هي من أطلقت عليه لقب تأبّط شرّا حين قالت له : ألا ترى أن غلمان الحي يجتبون لأهلهم الكمأة فيروحون بها! فقال لها أعطني جرابك حتى أجتبي لك فيه، فأعطته إياه فملأه لها حيات تسعة فوثبت وخرجت من البيت، فقال لها نساء الحيّ: ما ذا كان الذي تأبّطه ثابت اليوم ؟ فقالت تأبّط شرّا.[4]

---

[1]- أبي الحسن الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، شرح محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط4، 1985،ص254.

[2]- ينظر، ديوان الشنفرى ، ص22.

[3]- ديوان تأبّط شرّا وأخباره، تح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م، ص263.

[4]- ينظر، عبد الرحمان المصطاوي، ديوان تأبّط شرّا، دار المعرفة، بيروت-لبنان ،2003م، ط1 ص5-6.

اتسمت حياة نأبّط شرّا بقليل من الاضطراب جعلت منه شخصا متمردا على واقعه ثائرا على نفسه حتى ألفيناه صعلوكا فاتكا، عاش حياة مملوءة بالقتال والغزو والمغامرات ، كان فتاكا من أغربة العرب الأشراس وعلى الرغم من ضآلة حجمه إلّا أنّه كان عداءا لا نظير له يسابق الخيل ، وبه يضرب المثل بالسرعة إذا كان أعدى ذي ساقين .[1]

شعره وديوانه : إنّ المتصفح لشعر تأبّط شرّا يتبيّن له أنّه يفتخر بالصبر وقوة البأس واحتمال المكاره، واقتحام الشدائد، وفيه اعتزاز بشجاعة القلب، وصلابة الجسد، وسرعة العدو، والتفرد في الصحراء، ومباهاة بكره البشر، وإلف الوحوش .[2] وإذا انتقلنا للنظر في ديوانه نلمس أنّه « لم يبق منه شيء إلا بقايا كلمات وأطراف عبارات وردت في بعض كتب ابن جنّي وذلك رغم المكانة التي لشعره في الأدب الجاهلي وتاريخ اللغة العربية عند القدماء والمحدثين».[3] فمعظم شعر تأبّط شرّا ضاع رغم مكانته التي كان يحظى بها في كتب الأدب العربي.

كانت نهايته على يد غلام اسمه سفيان بن ساعد الذي اختبأ له وراء شجرة يترقبه حتى إذا اقترب أطلق عليه سهما فأصابه في قدمه ، فتعطلت قدمه فلحق به سفيان وضربه ضربا مميتا حتى عاد يعرج إلى رفاقه ليموت بينهم وكانت سنة وفاته 530م وقيل 540م .[4]

[1]- ينظر ، ديوان تأبّط شرّا ، عبد الرحمان المصطاوي ، ص7.

[2]- ينظر، الأدب الجاهلي، غازي ظليمات، ص476.

[3]- ديوان تأبّط شرّا ، تح علي ذو الفقار شاكر ، ص9.

[4]- ينظر ، ديوان تأبّط شرّا ، عبد الرحمان المصطاوي ، ص7-8.

4- السّليك بن السّلكة :

حياته ونسبه: هو:« السّليك بن عمرو وقيل بن عمبر بن يثربي أحد بني مقاعس ويعود نسبه إلى سعد مناة بن تميم : والسّلكة أمه وهي أمة سوداء أخذ عنها سواده فعدّ من أغربة العرب وهجنائهم وصعاليكهم».[1] ربّما سواد السّليك كان سببا مباشرا وراء تصعلكه وخروجه عن المجتمع.

اشتهر بأنّه عدّاء لا يشق له غبار حتى ضرب المثل به فقيل أعدى من السّليك وقيل له سليك المقانب ويروى أنّه تحدى في أواخر حياته أربعين شابا وعرف السّليك بفتكه فهو فاتك من شياطين الجاهلية .[2]

والمتتبع لحياة السّليك يرى أنه عاش حياة بائسة فهو قد يشتد عليه الجوع إلى حد الإغماء فيقول :

«أَلَا عَتَبَتْ عَلَيَّ فَصَارَمَتْنِي وَ أَعْجَبَهَا ذُوو اللِّمَمِ الطِّوَالِ

فَإِنِّي يا ابْنَةَ الأَقْوَامِ أُرْبِي عَلَى فِعْلِ الوَضِيِّ مِنَ الرِجَالِ

فَلَا تَصِلِي بِصُعْلُوكٍ نَؤُومٍ إِذا أَمْسَى يُعَدُ مِنَ العيَالِ

وَلَكِنْ كُلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ السَّيْفِ هَامَاتِ الرّجَالِ»[3]

هذه الأبيات تدل على أن السّليك لم يكن له نصيب في الحياة وأنّه دائما يعيش حياة التعاسة والبؤس .

---

[1]- ديوان الصعاليك، ديوان الشنفرى ويليه السّليك بن السّلكة وعمرو بن براق ، تح طلال حرب ، الدار العالمية ، بيروت ، لبنان ، 1993م ، ص73.

[2]- ينظر، المصدر نفسه ، ص73.

[3]- عبدو بدوي ، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، المكتبة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 1988م ، ص61.

شعره و ديوانه :

ترك السّليك بعض القصائد ولكن لم يصلنا إلّا القليل ، هاذا مع العلم أنّ المفضل ذكر أنّ السليك من أشعر العرب، وفي هذه المقطوعات القليلة التي وصلتنا تصوير لـ: الجانب الحياتي الواقعي من شخصيته، بصورة مباشرة، أقرب إلى النثر الفصيح منه إلى الشعر المبدع، كما هو عند الشنفرى وتأبّط شرّا.[1]

5- السّموأل:

حياته و نسبه : ورد في الديوان أنّه: السموأل هو ابن غريض بن عاديا بن حبا، قيل إنّ أمّه كانت من غسّان، وقيل بل هو من ولد الكاهن هرون بن عمران، أي هرون أخي موسى كليم الله، والسموأل هو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء قيل إنّ هاذا الحصن كان لجدّه عاديا واحتفر به بئرا ريّة عذبة وقد ذكرت الشعراء هاذا الحصن.[2]

شعره و ديوانه :

من يطلع على شعر السموأل «لا يجد فيه روح تكسّب ومدح، تقيّة وكذبا، ولكنّه يشعر بوثبة اندفاع إلى المجد والفخر، شيمة العربي في صحرائه التي تبعث روح العزة والتباهي بالحسب والنسب وحفظ الذمام وبسطة اليد». [3] فشعر السموأل شعر بسيط بعيد عن التعقيد والغموض يعكس روح البطولة والشجاعة التي بداخله.

[1]- ينظر ، ديوان السّليك بن السّلكة ، تح طلال حرب ، ص75.

[2]- ديوانا عروة بن الورد والسموأل، ديوان السموأل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1982م، ص71.

[3]- المصدر نفسه ، ص69.

6- حاجز بن عوف الأزدي :

حياته ونسبه : هو : حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخشم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج الأزدي.[1] ، وقيل أنّه من حليف بني مخزوم ويعد من الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الجاهلي ومن العدائين الذين اشتهروا بسرعة عدوهم لذلك اعتد حاجز بسرعة العدو على رجليه مع العلم أنّه كان من أصحاب الخيل التي نالت شهرة واسعة في الجزيرة العربية وكانت فرسه تسمى –ذئبة–، لم يعلم مكان موته وظل مجهول المصير فهو حرج كعادته في غاراته وغزواته ولم يعد فاختفت أخباره ولم يظهر له أثر.[2]

شعره : إن المتصفح لشعر حاجز يتبيّن له أنه: «مجموعة من خمس مقاطه من الشعر القبلي، يظهر فيها حاجز مندمجا منخرطا في المجتمع القبلي، يتحدث ويعبر بلسان قومه كأي شاعر جاهلي قبلي».[3] فحاجز كان دائم الاعتزاز بقبيلته حليفا لها تربطه علاقة وطيدة بأفراد قبيلته.

وحاجز في ما سنذكره من أبيات يفتخر بأفراد قبيلته فيصفهم بالسخاء حيث يقول :

إنْ تذكروا يومَ القَرِيّ فإنه بَواءٌ بأيامٍ كثيرٍ عديدها
فنحن أبحنا بالشخيصةِ واهِناً جهاراً فجئنا بالنساءِ نَقُودها
ويوم كِرَاء قد تدارَكَ ركضُنا بني مالكٍ والخيلُ صُعْرٌ خدودها
ويوم الأراكاتِ اللواتِي تأخّرتْ سراةُ بني لهبانَ يدعو شريدُها
ونحن صبَحْنا الحيَّ يَوْمَ تَنومةٍ بملمُوْمَةٍ يُهوي الشجاعَ وئيدُها
ويوم شروم قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء حمرا جلودها

[1]– عصام بشير العوف، فقهاء الاسلام وشعراء العربية، د دار نشر، ط2، 2010، ص69.

[2]– ينظر، حسن جعفر، نور الدّين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، دار رشاد برس، بيروت، لبنان، ج2، 2002م، ص53.

[3]– حسن جعفر نور الدّين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص54.

فما رغمت حلفا لأمر يصيبها من الذّل إلا نحن رغما نزيدها»[1]

إنّ حاجز هنا يعدد أماكن انتصار قبيلته وهي كثيرة، ونلمح وفائه لقبيلته ووقوفه إلى جانبها في مواجهة الصعاب والتحديات.

7- مالك بن حريم الهمداني :

حياته ونسبه : هو مالك بن حريم بن دألان بن سابقة بن ناشج بن دافع بن أقصى بن مالك بن جشم بن وادعة بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان، واسمه أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.[2]

كان مالك من فرسان قومه ويقال له مفزع الخيل وهو أحد وصافي الخيل المشهورين ولا نعلم شيئا عن سنة ولادته ووفاته أو مكان ولادته وكانت تصفه الروايات بأنّه من لصوص همدان علما أنّ أخباره تكشف عن أنّ طريقته في الصعلكة كانت تعتمد على الغارات أكثر من التلصص.[3]

شعره وديوانه :

بعد تصفح شعر مالك بن حريم اتضح أنّ:« شعره يقدّمه لنا صاحب شخصية قوية كريمة خلقية تلتزم القيم الانسانية العليا ففي جانب كبير من شعره تأكيد على التمسك بالجوانب الأخلاقية وحديث عن العفة والخلق، وقد عدّه النقاد من فحول الشعراء وهو من القلة الذين

[1]- حسن جعفر نور الدّين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص55.

[2]- شريف راغب علاونة ، ثلاثة شعراء مقلّون ، دائرة المطبوعات والنشر، عمان ، ط1 ، 2007م ، ص15.

[3]- ينظر، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ص94.

رويت لهم قصائد طويلة من الشعراء الصعاليك وقد روى له الأصمعي في أصمعياته إحداها وتبلغ أربعين بيتا».[1] فشعر مالك عكس خلقه الرفيع وقيمه الانسانية التي كان يتحلى بها.

ومن أخلاق مالك التي افتخر بها في شعره واضحة في قوله:

فإنْ يكُ شابَ الرأْسُ منى فإننى أَبيت على نفسى مَنَاقِب أَرْبعا

فَوَاحِدَة: أَن لَا أبيتَ بِغِرَّةٍ إِذا مَا سوَامُ الحيِّ حوْلي تضوعا

وثانية: أَن لَا أُصمِّتَ كلْبَنَا إِذا نَزَلَ الاضْيافُ حِرْصاً لنودِعا

وثالثة: أَن لَا تُقَذِّعَ جارَتي إِذا كانَ جارُ القومِ فيهم مقذعا

ورابعة: أَن لَا أحجل قِدْرَنا على لَحْمِها حينَ الشتاءِ لِنشْبِعا[2]

ففي هذه الأبيات تتضح لنا أخلاق مالك وهي إكرامه للضيف وتعففه عن الكلام الفاحش ومساعدة الفقراء والمعوزين.

8- صخر الغيّ :

حياته ونسبه : قليلة هي المصادر التي تتحدث عن هذا الصعلوك، ففي موسوعة شعراء العصر الجاهلي قيل أنّه هو:« هو صخر بن عبد الله الهذلي، وقيل هو صخر الغيّ بن عبد الله الختمي من بني عمرو بن الحارث، وقيل هو صخر الغيّ بن سويد بن رياح بن كليب بن كعب بن كاهل وإنّما لقب بصخر الغيّ لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شرّه».[3] وصاحب الشعر والشعراء رأى بأن صخرا هو صاحب هذا البيت :

« إِنِّي بِدَهْمَاءَ قلَّ مَا أَجِدُ عَاوَدَنِي مِنْ حِبَاهَا زُؤُدُ »[4]

---

[1]- حسن جعفر نور الدّين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ص94.

[2]- الأصمعي، الأصمعيات، تح أحمد محمد شاكر، د دار نشر ، بيروت ،لبنان، ط5 ، ص59.

[3]- عبد عون الروضاني، موسوعة شعراء العصر الجاهلي، دار أسامة ، عمان، الأردن ، ط1 ، 2001م ، ص169-170.

[4]- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط ، ج1 ، ص668 .

فهاذا البيت ذو طبعة جاهلية بعيد عن الغرابة والألفاظ المعقدة.

فصخر كان شجاعا صاحب بأس واعتزاز بنفسه ذا كبرياء ومروءة ويتضح ذلك عندما أحاط به أعداؤه من بني المصطلق، بغية القبض عليه ، فأبى أن يستسلم أو أن يذعن صاغرا لهم، أو أن ينجو بنفسه لأنّه اعتبر الفرار مذلة، فقاتلهم وهو يرتجز شعرا عميقا مؤثرا حتى قتل.[1]

شعره وديوانه :

إذا قمنا باستطلاع سريع لقصائد الشاعر نرى« أنّ معظمها جاء في رثاء أخيه وابنه وفي مناجزاته ومنافراته مع أبي المثلم وسبب هذه المنافرات أنّ صخرا قتل رجلا من مزينة كان جارا لأبي المثلم، فأوغر أبو المثلم صدور قومه عليه، ودفعهم إلى طلب دبة القتيل من صخر، واستنادا إلى قصائده، فإنّ شعره فيه بعض العمق والقوة، أبرز ما فيه نزاعه مع خصومه ومنافراته، مع أبي المثلم ألذ خصوم القبليين».[2] فأغلب شعر صخر كان عبارة عن كشف مغامراته وشخصيته القوية ومكانته في المجتمع.

وفي هذه الأبيات سنرى صخر الغيّ وهو يرثي أخاه بعد أن لدغته أفعى في الصحراء:

« لَعمْرُ أَبي عَمْرُو لقدْ سَاقهُ المنى إلى جَدَثٍ يُوزَى لهُ بالأَهَاضِبِ

لِحَيَّةِ جُحْرٍ فِي وِجَارٍ مُقِيمَة تَنَمَّى بها سَوْقُ المنَا والجوَالِبِ

أخِي لَا أَخًا لِي بعْدَه سبقت به منيته جمعَ الرُّقى والطَّبَائِبِ »[3]

[1]- ينظر ، حسن جعفر نور الدّين ، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، ص60.

[2]- حسن جعفر نور الدّين ، موسوعة الشعراء الصعاليك ، ص59-60.

[3]- حسن جعفر نور الدّين، موسوعة الشعراء الصعاليك ، ص61.

في هذه الأبيات تظهر عاطفة الشاعر الأخوية اتجاه أخيه وإشارته إلى حادثه الأفعى التي أودت بحياته وجعلته يفقده.

9- عمرو بن براقة الهمداني :

حياته ونسبه : ينتهي نسبه إلى بني نهم من همْدان، فهو« عمرو بن الحارث بن منبّه بن شَهْر بن نِهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن رومان ابن بُكَيْل بن جُشَم بن خيوان بن نوف بن همدان ، واسمه أوسلة بن مالك ابن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب ابن يعرب بن قحطان».[1]

عرف ابن برّاقة بالفروسية بإجماع المصادر التي ترجمت له ف: ابن الجرّاح وصفه بالفارس المقدّم، وعدّه صاحب العقد الفريد من فرسان العرب في الجاهلية وذر الهمداني أنّه فارس همْدان، فابن برّاقة كان من فرسان قومه همدان وهو ما كشف لنا عن شخصية هاذا الرجل.[2]

شعره وديوانه : بالرغم من قلة شعر ابن برّاقة إلّا أنّ شاعريته كانت موضع تقدير واهتمام لدى المتقدمين والمتأخرين من أصحاب كتب التراجم والاختيارات الشعرية وأكثر هاذا الشعر القليل متنازعة نسبته إلى غير واحد من الشعراء ولكن ما صّح نسبته إليه هي قصيدته اللامية والميمية ويمكننا القول أنّ أشهر ما اشتهر به شعر عمرو بن برّاقة الحماسة والفروسية التي من أجلها عدّوه من الشعراء الفرسان.[3]

وابن برّاقة في قصيدته اللامية يصور حربا شديدة شاملة وقعت بين قومه وقوم صاحبته، فيقول :

---

[1]- شريف راغب علاونة ، عمرو بن برّاقة الهمْداني ، سيرته وشعره ، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005م ، ص22.

[2]- ينظر ، المرجع نفسه ، ص27.

[3]- ينظر ، شريف راغب علاونة ، عمرو بن برّاقة الهمْداني ، ص57-65.

«عداني أن أزُورَك أنَّ قومي وقومك ألقَحُوا حَرْبًا شمولا

وأنك لو رأيت الناس يوم الـ حيار عَذَرت بالشُغُلِ الخَلِيلَا

غَداةَ تَصَارَخَتْ عَبْدُ بنُ عَمْرُو وأهْلٌ تُضَاع فَاحْتمَلُوا قَتِيلَا

غَداةَ حبَا لَهُم عَمرُ بنُ عُمَرٍ بشكةٍ كامِلٍ يَدعُوا جَزِيلًا »[1]

نجد أن ابن برّاقة صور لنا الحرب بين الفريقين وكيف اشتّد القتال بينهما ومنظر سقوط القتلى وسيلان الدماء.

10- قيس بن الحدادّية :

حياته ونسبه : اشتهر باسم أمّه، فقيل له ابن الحدادّية، وهو قيس بن منقذ بن عمرو بن سلول بن الأزد الخزاعي، والحداديّة أمّه، من قبيلة فهم يقال لهم بنو حداد، قيل أنّه كان فاتكا شجاعا صعلوكا خليعا من شعراء الجاهلية قامت خزاعة بخلعه بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعتها إيّاه، فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرّها أحد عليه.[2]

شعره : شعر قيس في العموم يميل إلى الوضوح والسهولة، فهو بعيد عن التعقيد والغرابة باستثناء بعض الألفاظ التي قد تمر أحيانا في سياق القصائد، ومن أخبار ابن الحدادية أنّه لما خلعته خزاعة، تحول عن قومه، ونزل عن بطن من خزاعة هم بنو عدي بن عمرو خالد، فآووه وأحسنوا إليه، ممّا ترك في الراحة والطمأنينة فنطق بلسان الشكر.[3]

وهذا المعروف الذّي قدّموه له والمعاملة التي تلقاها منهم جعلته يقول:

«جزى الله خيرًا من خليع مطرّدٍ رجالًا حموه آل عمرو بن خالد

---

[1]- شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة الهمداني، ص66.

[2]- ينظر، حسن جعفر نور الدّين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ص89.

[3]- ينظر، حسن جعفر نور الدّين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ص91.

فليس كمن يغزو الصديق بنوكه وهمّتُه في الغزو كسبُ المزاود »[1]

فقيس في هذه الأبيات يشكر من أعماق قلبه من آووه ونصروه ويتمنى لهم الخير.

❖ شعر الصعاليك :

حين نقيس شعر الصعاليك بشعر بقية الشعراء نرى أنّه قليل جدا بالنسبة إلى شعرهم لأن كتب اللغة والأدب أغفلت شعر الصعاليك وأخبار الشعراء الصعاليك ولعّل ذلك يرجع إلى «أن الصعاليك كانوا شعراء مغمورين غير معروفين خرجوا على مجتمعهم وقبائلهم وتمردّوا على أوضاعهم وتقاليدهم بحيث لم يحرصوا على قبائلهم ولم يهتموا بشؤون القبيلة في شعرهم».[2]، لهاذا السبب لم يحظى شعر الصعاليك باهتمام وعناية من قبل الباحثين والدارسين فضاع وفُقِد معظمه.

ولكن ومع ذلك فقد وصلنا بعض من شعر الصعاليك مبعثرا بين المصادر من بينها :

- كتب الثقافة العربية المختلفة.
- مجموعة المختارات من شعر الشعراء.
- كتب التراجم.
- دواوين الشعراء.[3]

والمتتبع للصعاليك يمكن له أن يميّز ثلاث مجموعات منهم : «مجموعة من الخلعاء الشذاذ: الذّين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم مثل: حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية ، ومجموعة من أبناء الحبشيات السود: ممن نبذهم آباؤهم لعار ولادتهم مثل: السّليك بن السّلكة وتأبّط شرّا وكانوا يشتركون أمهاتهم في سوادهم فسموا بأغربة العرب ، ومجموعة لم تكن من الخلعاء ولا من

[1]- حسن جعفر نور الدّين ، موسوعة الشعراء الصعاليك، ص91.

[2]- حسن السرباز، الصعاليك وشعرهم في العصر الجاهلي، آفاق الحضارة الإسلامية، ع25، ص47.

[3]- ينظر ، حسن السرباز، الصعاليك وشعرهم في العصر الجاهلي، ص47.

أبناء الحبشيات: هذه المجموعة اخترفت الصعلكة احترافا».[1]، وهذا التقسيم للشعراء الصعاليك بُنِيَ على كثرة تمرّدهم وعدائهم للقبائل وثورتهم على القيم الاجتماعية.

ويجتمع هؤلاء الطوائف الثلاث من الشعراء الصعاليك ويتقاسمون الفقر المهين وحالة الرفض القبلي والطرد من القبيلة فكانوا كالذئاب الجياع الذّين يتخذون من الجبال والوهاد والنّجاد مسكنا لهم وقد صور يوسف خليف هؤلاء الشعراء الصعاليك المنبوذين اجتماعيا ورأى أنهم خرجوا على حياة القبيلة ولم يجدوا أمامهم سوى هذه الحياة المهينة التي يعيشونها على هامش المجتمع.[2]

كما صنف يوسف خليف الشعراء الصعاليك إلى طبقتين:« طبقة تمثل الجانب الإنساني يقودها عروة بن الورد وطبقة ثانية تمثل الجانب الشيطاني يقودها الشنفرى».[3]، من هنا أصبحت حياة الشعراء الصعاليك حرّة تعتمد على المطاردة بعدما كانوا يعيشون حياة الفقر والذل والهوان.

ومن ناحية أخرى نلاحظ أنه لم يكن للشعراء الصعاليك أسلوب واحد معين حتى وان اشتركوا في العدوانية والظلم، «لذلك تعددت وسائل مزاولتها –الصعلكة– واختلفت باختلاف استعداد الصعلوك ن وإمكانياته الذاتية فكل صعلوك يزاول ما يناسب إمكانيات القوة لديه واختلفت أيضا باختلاف الظروف التي تسمح للصعلوك مزاولة صعلكته».[4] ومنه لقد صنع التصور الشعري الصعلوكي مذهبا لطبقة كانت مضطهدة وحرّر ممارستها في تحديد ماهيتها والتعبير عنها.

[1]– شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط11، ج1، ص375.

[2] – ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص31.

[3]– المرجع نفسه ، ص55-56.

[4]– عبد الحليم حفنى ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص90.

❖ **ثقافة الصعاليك** :

إنّ الدارس لشعر الصعاليك يدرك أن ثقافتهم كانت مبثوثة في نصوصهم فهي تلك المظاهر التي أثرت في شخصيتهم وبثّت أفكارهم فجاءت ثقافة الصعاليك على أنّهم: «حاقدون على مجتمعهم، متمردون عليه، للأسباب المذكورة نبتت في أكثرهم عقدا نفسية، تكونت عندهم من سوء معاملة المجتمع لهم ، ومن سوء فعلهم وتصرفهم الخاطئ تجاه مجتمعهم، فهم حاقدون لايبالون من شيء ولو كان ذلك سلبا ونهبا وقتل لأبناء قبيلتهم وعشيرتهم، لأنّهم خلعوا منها، وحرموا من حق الدم، فكان خلعها لهم سبب شقائهم وبؤس حياتهم».[1] فطبيعة الحياة التي عاشها الصعاليك والظلم والحرمان الذي تعرضوا له أثر على نفسيتهم وتجلى ذلك في ثقافتهم وشعرهم.

هذا كلّه جعل الصعاليك يتبعون منهجا وثقافة خاصة بهم تميّزهم، يمكن أن تفهم من كلمة العدوان وهو ليس عدوانا دفاعيا كما يسميه علماء الجنوح ولكنّه عدوان ضار خبيث يهدف إلى التدمير والتحطيم.[2]

❖ **الظواهر الفنية في شعر الصعاليك:**

إنّ أدب الصعاليك كان متميزا خارجا عن المألوف يعكس شخصيتهم وهنا سنتناول خصائص شعرهم وكيف كانت مرآة عاكسة لشخصيتهم، وسنجمل خصائص شعرهم فيما يلي:

1-شعر مقطوعات : حين ننظر في شعر الصعاليك من ناحية بنائه الخارجي فأوّل ما يلفت انتباهنا أنّه شعر مقطوعات ، وهذا لا يعني انعدام القصيدة فيه وإنّما يعني شيوع المقطوعة أكثر من القصيدة مع استثناء تائية الشنفرى المفضلية، ولامية عمر ذي الكلب الهذلي، ورائية عروة بن

[1]- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جامعة بغداد للنشر ، ج9 ، ط2 ، 1993م، ص602.

[2]- ينظر ، عبد العزيز نبوي ، دراسات في الأدب الجاهلي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط2، 2003م ، ص165.

الورد المشهورة، وفائية صخر الغيّ، وتلك الأبيات المفرقة لتأبّط شرّا في رثاء الشنفرى، وقافية تأبّط شرّا المفضلية، وبائية الأعلم الهذلي، وميمية أبي خراش، ودالية صخر الغيّ، إذا استثنينا هذه القصائد التسع وتلك المجموعة القليلة من القصائد الطويلة، نجد أنفسنا أمام مجموعة كبيرة من المقطوعات في شعر الصعاليك.[1]

ولو استعرضنا شعر الصعاليك لوجدنا أكثره مقطعات قصارا، لأنّ الصدور التي أخرجته لم يكن همّها الإطالة والإجادة، بل كان همُّها إفراغ ما تحتويه من مشاعر في مقطّعات، تصور التشرد والتوتر والتقلب، وربّما بلغ القصر حدا بعيدا، فغدا كثير من شعر الصعاليك أبياتا مفردة، وربّما كان بعضها مقطعات، ذهب أكثرها، وعلق بالذاكرة أشهرها وأيسرها.[2]

2-الوحدة الموضوعية : بعد التعرف على الظاهرة الأولى في شعر الصعاليك ننتقل الآن إلى ظاهرة أخرى ترتبط بها موجودة في مواضيع كثيرة وهي الوحدة الموضوعية في شعر الصعاليك،« فالناظر في شعر الصعاليك تلفت نظره تلك الوحدة الموضوعية في مقطوعاته وأكثر قصائده بحيث يستطيع أن يضع لكل مقطوعة عنوانا خاصا بها دالًا على موضوعها وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشعر الجاهلي القبلي في مجموعه، تلك القصائد التي تبدأ عادة بمقدمات طللية ثم تظل تنتقل من موضوع إلى موضوع حتى تصل إلى نهايتها».[3] فشعر الصعاليك لا يتجه إلى القصائد التي تشتمل أغراضا متعددة وإنّما إلى القصائد التي تلتزم فكرة تنتظمها وغرضا واحدا واضحا يربط أوّلها بآخرها .

3- التخلص من المقدمات الطللية : بعد التصفح في شعر الصعاليك يتبيّن لنا أن الشعراء الصعاليك حرصوا على الوحدة الموضوعية في شعرهم ومنه فإن المقدمة الطللية تخل بهذه الوحدة

---

[1]- ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص259-260.

[2]- ينظر، غازي ظليمات ، الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه فنونه ، دار الارشاد ، حمص ، ط1 ،1992م ،ص231.

[3]- المرجع نفسه ، ص 264.

فلجأوا إلى مذهب آخر استعاضوا به عن هذه المقدمات وهو مذهب جعلوا محوره المرأة المحبة الحريصة على فارسها التي تدعوه دائما للحفاظ على حياته، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هي، ولا يوجد شك أنّها براعة من الشعراء الصعاليك **أن** يضعوا في مستهل قصائدهم صورة للأنثى الضعيفة التي يظهر فارسها إلى جانبها بطلا قويا مستهينا بالحياة من أجل فكرته الت يقدم روحه رخيصة لها ويضحي بسعادته ثمنا تحقيقا لها. [1]

4- عدم الحرص على التصريع : نجد ظاهرة أخرى من حيث البناء الخارجي لشعر الصعاليك وهي عدم الحرص على التصريع في مطالع قصائدهم حيث « توشك هذه الظاهرة أن تكون مطردة في كل شعر الصعاليك سواء ما كان منه داخل دائرة الصعلكة وما كان خارجها وسواء ما كان مقطوعات أو قصائد، وسواء ما كان خاضعا للوحدة الموضوعية أو خارجا عليها».[2] ولو نظرنا إلى مجموعة شعر الصعاليك لوجدناه يحمل خصائص عروضية تتجلى فيها الأوزان التي صاغ فيها الشعراء الصعاليك شعرهم.

5- التحلل من الشخصية القبلية : إن هذه الظاهرة ليست غريبة على شعر الشعراء الصعاليك حيث يعتمد الصعلوك في بناء قصيدته على التجرد من النزعة القبلية فيرسم الظاهرة الاجتماعية للصعلكة من فقْد التوافق الاجتماعي بين الصعاليك وقبائلهم مما يترتب عليه فقد الإحساس بالعصبية القبلية ، فيصبح شعره صورة صادقة لحياته هو يسجل ما يدور فيها وما فعلته القبيلة به.[3]

ومثال ذلك هو قول عروة بن الورد :

أيا راكِباً! إمّا عرَضتَ، فبلّغن بني ناشب عني ومن يتنشب

[1]- ينظر، محمد أبو ربيع، في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، د ط، ص55.

[2]- يوسف خليف، ص274.

[3]- ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص276-277.

آكلكم مختار دار يحلها وتاركُ هُدْمٍ ليس عنها مُذنَّبُ

وابلغ بني عوذ بن زيد رسالةً بآيةِ ما إن يَقصِبونيَ يكذِبوا

فإن شِئتمُ عني نَهيتُم سَفيهَكم وقَالَ لَهُ ذو حلمكم أيْنَ تذهب؟[1]

نجد أنّ عروة قال هذه الأبيات سخرية وهجوما على قومه بني عبس حين اتّهموه بالتهرب من المسؤولية.

6- السرد القصصي : إذا كان شعر الصعاليك صورة صادقة عن حياة أصحابه يسجلون كل ما يدور فيها فإنّنا نصل إلى استنتاج ظاهرة مترتبة على هذه الفكرة وهي القصصية في شعر الصعاليك، « فشعر الصعاليك—في مجموعه- شعر قصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي، فحوادث مغامراتهم الجريئة التي كانوا يقومون بها فرادى وجماعات وما كان يدور فيها من صراع دام مرير وأخبار فرارهم وعدوهم، وتشرّدهم في أرجاء الصحراء بين وحشها وأشباحها، وتربصهم فوق المراقب في انتظار ضحاياهم، كل هذا وغيره من مظاهر حياتهم مادة صالحة للفن القصصي وقد استغل الشعراء الصعاليك هذه المادة في شعرهم استغلالا قصصيا رائعا».[2] فحياة الصعاليك المليئة بالمغامرات والحوادث الجريئة تصلح لأن تكون سردا قصصيا رائعا مليء بالإثارة والتشويق وتسلسل الأحداث.

7- الواقعية : إنّ ما نلاحظه على شعر الصعاليك هو الواقعية وأوّل مظاهرها اتّخاذهم الحياة بما فيها م شرّ وخير مادة لموضوعاتهم، وبعدهم عن الإمعان في الخيال إمعانا ينقلهم من عالم الواقع إلى عالم الأوهام فالشعراء الصعاليك صوّروا البيئة التي كانوا يعيشون فيها بكل مظاهرها وتحدثوا

[1]- ديوان عروة بن الورد ، تح أسماء أبو بكر ، ص45.

[2]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص278.

عن حياتهم التي يحيونها بكل ما فيها وصوّروا مظاهر الطبيعة كما شاهدوها فهم يصوّرون واقعهم المعيش.[1]

ونرى الواقعية متجسدة في شعر الصعاليك في أنّ شعرهم كلّه لا يعدو تصوير الواقع الذي يعيشون فيه وتصوير إحساسهم بهذا الواقع فهم صوّروا موضوعات شعرهم وأغراضه بصورة واقعية بحتة والصعاليك كانوا يلتزمون أن يكون الموضوع من واقع حياتهم وكانوا يلتزمون حدود الموضوع لا يخرجون عن نطاقه والتزموا أيضا الواقع نفسه في تصوير الموضوع فالصعاليك صوّروا واقع حياتهم في أشعارهم بصورة مفصلة ودقيقة.[2]

8- الخصائص اللغوية : حين ننظر في شعر الصعاليك فإنّ أوّل ما نلاحظه أنّ لغتهم هي اللّغة الأدبية التي عرفها العصر الجاهلي بكل خصائصها وهذه ظاهرة طبيعية لا يصعب تعليلها فإنّ الشعراء الصعاليك مهما يبلغ بهم الأمر في الخروج على تقاليد مجتمعهم الأدبيّ فهم غير قادرين على الخروج عليه من ناحية لغتهم فاللغة هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم بينهم وبين مجتمعهم.[3]

بعد كل ما ذكرناه من خصائص في شعر الصعاليك نستنتج أنّ شعرهم تبرز من خلاله قوة الصبر التي كانوا يتحلوْن بها ومدى تحملهم للألم ومواجهتهم للظروف القاسية التي أحاطت بهم.

[1]- ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص282.

[2]- ينظر ، عبد الحليم حفنى ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص79-81-82

[3]- ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص312.

الفصل الثّاني

القيم في شعر الصعاليك

-لامية العرب أنموذجا-

- القيم الإيجابية
- القيم السلبية
- دراسة في لامية العرب

❖ **القيم في شعر الصعاليك :**

لقد أثار شعر الصعاليك بتفرعاته المتعددة الاجتماعية والفكرية العديد من الأسئلة حول تفسير وتحليل قيمة هذا الشعر الذّي عبّر من خلاله وبه شعراؤه عن تجاربهم وهم يتحركون في إطار هذه الظاهرة الفريدة المتمردة الداعية إلى هدم قيم ومثل سائدة وإحلال قيم ومثل جديدة وإن كانت حياة الصعاليك قائمة على التمرد والعدوان وتحدي القبيلة فقد قامت من ناحية أخرى على مكارم الأخلاق وقد يعجب القارئ من هذا التناقض الغريب وهو ما جعل هؤلاء الصعاليك فئة شاذّة متميّزة خارجة من المألوف وحكم عليهم أنّهم طائفة منعدمة الأخلاق، اتخذت من الصعلكة وسيلة لقتل الأبرياء والسطو على الأثرياء، وقد يعد السبب في تلك الأحكام القاسية إلى الانطلاق من مواقف مسبقة تعتمد التفسير الخاطئ لظاهرة الصعلكة، وسنتحدث هنا بإيجاز عن بعض خصالهم ومكارم أخلاقهم التي سمّوا وتميزوا بها، واخترنا لامية العرب نموذجا للدراسة كونها تحمل جملة من الصور الرائعة عن مكارم الأخلاق.

1–العفة والشرف : لعل أول ما نتحدث عنه في أخلاق الصعاليك العفة والشرف حيث «كان العربي صاحب أنفة وشرف يأبى الضيم ويغار على العرض إذ قال فعل وإن وعد وفى وإذا اضطر إلى رهن في أمر عظيم رهن قومه، ولا قيمة للقوس بنفسها ولكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم رهنها لها مهما كلفه ولم يكن أشد منهم غيرة على العرض، وفي أخبارهم مالا يخص من الدفاع عن المرأة وعرضها وكثيرا ما تشب الحروب في هاذا السبيل»[1]، فجل الصعاليك كانوا أصحاب شرف رغم عدوانيتهم فهم لا يرضون الطعن في شرفهم وكانوا يقيمون الحروب من أجل ذلك.

وأول من نجده من الشعراء الصعاليك في باب العفة والشرف سيد وزعيم الصعاليك عروة بن الورد في قوله :

« **فللموت خير للفتى من حياته فقيرا ومن مولى تدّب عقاربه**

[1]– عفيف عبد الرحمان ، الشعر الجاهلي ، حصاد القرن ، دار الأندلس للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ط1، 1984م ، ص219.

فقلت له : ألا أحي، وأنت حرّ ستشبع في حياتك أو تموت »[1]

فزعيم الصعاليك هنا يرسم خطة على الصعاليك اتباعها إمّا حياة كريمة وإمّا الموت لأنّ الموت خير من حياة الذّل التي وصلت إليها حياة الصعاليك .

ونجد أيضا في هذا الجانب الشنفرى رغم أنّه كان « ذا ميول نحو الفتك والقتل إلّا أنّه كان عفيفا في نفسه مترفعا عن الضيم والذّل حتى لو كان ذلك سببا في القضاء عليه».[2]، لهذا السبب كان الشنفرى يترفع عن الدنايا فكانت نفسه أبيّة عفيفة تأبى القهر ، ومن أمثلة ذلك قوله:

« وَأغْدو خَمِيصَ البَطْن لا يَسْتَفِزُّني إلى الزَادِ حِرْصٌ أو فُؤادٌ مُوَكَّلُ »[3]

فهو يرى أنّ الجوع يدفع بالإنسان إلى أن يحط من قيمته ، فآثر الصبر على جوعه رغم سوء حالته وحاجته إلى ما يسد رمقه ولا يحط من شأنه ويذل نفسه للناس.

وعفة الصعاليك في ترفعهم وتجنّبهم عن كل ما يسيء للمروءة والكرامة والخلق النبيل عفة مطلقة، غير محدودة بنوع أو مجال معين ، ففي كل مجال من مجالات السلوك الاجتماعي يتميّزون بهذه العفة والخلق الكريم ، وقد عرف هذا عنهم، وأوضح ما تكون عفة الصعاليك فيما يتعلق بالمرأة، ومن نواحي هذه العفة انفرادهم بالغزل في الزوجة مما يوحي بالاتجاه الخلقي المشروع في عواطفهم.[4]

يقول الشنفرى في ما يتعلق بالعفة والشرف :

فَيَا جَارَتي وأنْتِ غَيْرُ مُلِيمَةٍ إذا ذُكِرَتْ ولا بِذَاتِ تَقَلَّتِ

لَقَدْ أعْجَبَتْنِي لا سَقُوطاً قِنَاعُها إذا مَشَتْ ولا بِذَاتِ تَلَفُّتِ

تَبيتُ، بُعَيْدَ النَّوْمِ، تُهْدِي غَبُوقَها لِجَارتِها إذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ

---

[1]– ديوان عروة بن الورد ، ص48-49.

[2]– محمود حسن أبو ناجي ، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي ، ص62-63.

[3]– ديوان الشنفرى ، تح اميل بديع يعقوب ، ص61.

[4]– ينظر ، عبد الحليم حفنى ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص338.

تَحُلُّ، بِمَنْجاةٍ مِنَ اللَّوْمِ، بَيْتَها إذا ما بُيُوتٌ بالمَذَمَّةِ حُلَّتِ»[1]

تعد هذه الأبيات من أدق وأجمل وأرق ما قيل في حشمة وعفة النساء فإنّ الزوجة المخاطبة هنا زوجة كريمة القدر عفيفة شريفة طاهرة وهي المرأة الكريمة التي تؤثر جارتها المحتاجة وقت الحاجة وتساعدها وهي ذات سمعة طيّبة لا يذكرها الناس بسوء حريصة على سمعة بيتها .

2– الوفاء والاخلاص : لقد كان الصعاليك أوفياء يحققون ما وعدوا به سواء أكان الوعد بينهم وبين شخص ما أو بينهم وبين أنفسهم، فالشنفرى مثلا أخذ وعد على نفسه بأن ينتقم ممّن قتلوا أباه ووالد زوجته ، وكان مخلصا لوعده ووفى به ،فصار يقتل كل من وصلت إليه يداه ، فأخذ يفتك بهم حتى بلغ عدد القتلى تسع وتسعين.[2]

فالوفاء والاخلاص قيمة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للصعلوك وذلك في قول الشنفرى :

أُمَيمَةُ لا يُخزى نَثاها حَليلَها إذا ذُكِرِ النِسوانُ عَفَّت وَجَلَّتِ

إذا هُوَ أَمسى آبَ قُرَّةَ عَينِهِ مَآبَ السَعيدِ لَم يَسَل أَينَ ظَلَّتِ»[3]

ركز الشاعر على وفاء محبوبته و إخلاصها له طوال فترة غيابه فهو يرى أن الوفاء يحقق له الراحة النفسية والطمأنينة والاستقرار الذي يفتقر إليهما.

كما نذكر وفاء الصعاليك من جانب آخر، متمثل في أن الصعاليك كانت لهم سمعة مخيفة لقبائل أخرى ، لكن أوفياء لمن يساعدهم ويساندهم ويبرز ذلك في قول السّليك بن السّلكة:

لَعَمرُ أَبيكَ وَالأَنباءُ تُنمى لَنِعمَ الجارُ أُختُ بَني عُوارا

مِن الحَفَراتِ لَم تَفضَح أَباها وَلَم تَرفَع لِإِخوَتِها شَنارا

كَأَنَّ مَجامِعَ الأَردافِ مِنها نَقىً دَرَجَت عَلَيهِ الريحُ هارا

يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قَلبي وَيَتَّبِعُ المُمَنَّعَةَ النوارا

[1]– ديوان الشنفرى ، تح اميل بديع يعقوب ، ص32.

[2]– ينظر ن محمود حسن أبو ناجي ، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي ، ص21–22.

[3]– ديوان الشنفرى ، تح اميل بديع يعقوب ، ص33.

وَما عَجِزَت فَكيهَةُ يَومَ قامَت بِنَصلِ السَيفِ وَاستَلَبوا الخِمارا »[1]

فالسّليك في هذه الأبيات يذكر المرأة التي أجارته من بني عوار ودافعت عنه وحمته ويذكر وفاءه لها وعدم مسها بأي سوء رغم خلوته معها في مكان بعيد.

3– الحكمة : إنّ ظروف الصعاليك القاسية وما لاقوه من تهميش وظلم قد أنتجت شعرا يفيض حكمة تتضمن تجاربهم ورؤاهم ومكابداتهم « فالحكمة هي ثمرة تجارب طويلة وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وأخلاقهم والماضين ومصائرهم وتأمل في سعي الإنسان وغايته ونهايته ثم إحساس دقيق بالحياة».[2] ، ومنه فالحكمة نظرة الإنسان في الحياة وهي تعبير تجربة شخصية للإنسان وعن طول تأمل وتبصر بأمور الحياة .

فاهتمام الصعاليك بالحكمة واضح حتى جعلوها متصدرة في قصائدهم، لذا نجد عروة بن الورد يفتتح شعره قائلا :

إذا المَرءُ لَم يَبعَث سَواماً وَلَم يُرَح عَلَيهِ وَلَم تَعطِف عَلَيهِ أَقارِبُه

فَلَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَتى مِن حَياتِهِ فَقيراً وَمِن مَولىً تَدِبُّ عَقارِبُه »3

فعروة هنا افتتح شعره بحكمة مفادها أنّهم يؤثرون الموت على حياة الحرمان والذّل والظلم والاستعباد.

والطرح نفسه نجده في قول الشنفرى :

« ولولا اجتنابُ الذمِّ لمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بهِ إلاَّ لَدَيَّ ومَأْكَلُ

ولكنَّ نفْساً حُرَّةً لا تُقيمُ بي على الذمِّ إلاَّ ريْثَمَا أتَحَوَّلُ »4

تصور لنا هذه الأبيات الإباء النادر من الشنفرى وعبرت عن المعاناة الحقيقية التي عاشها أولئك الصعاليك .

إنّ حكمة الصعاليك البارزة في تجاربهم الشعرية يمكن أن ينظر إليها من خلال ثلاثة محاور وهي :

---

[1]– ديوان السّليك بن السّلكة ، ص88.

[2]– يحي الجبوري ، الشعر الجاهلي، خصائصه ، فنونه، ص403.

[3]– ديوان عروة بن الورد ، ص48.

[4]– محمود حسن أبو ناجي ، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي ، ص115

3–أ–حكمة الخلاص من الفقر والجوع: إنّ أخبار الشعراء الصعاليك حافلة بالحديث عن فقرهم فكل الصعاليك كانوا فقراء لا نستثني منهم أحدا حتى زعيم الصعاليك وسيّدهم عروة بن الورد ذكر الرواة أنّه كان صعلوكا فقيرا مثلهم.[1]

إذ نجده يقول :

« دَعيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ
وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُم عَلَيهِم وَإِن أَمسى لَهُ حَسَبٌ وَخيرُ
وَيُقصيهِ النَديُّ وَتَزدَريهِ حَليلَتُهُ وَيَنهَرُهُ الصَغيرُ
وَيُلفى ذو الغِنى وَلَهُ جَلالٌ يَكادُ فُؤادُ صاحِبُهُ يَطيرُ
قَليلٌ ذَنبُهُ وَالذَنبُ جَمٌّ وَلَكِن لِلغِنى رَبٌّ غَفورُ »[2]

يسجل عروة بن الورد في هذه الأبيات ما يراه من مظاهر اجتماعية عاشها حرّا وليس عبدا ، فهو لا يطلب الغنا لذاته بل يطلبه لحفظ الكرامة بعد أن أصابها الهوان والدونية.

ويطلق من جهة أخرى عروة بن الورد صرخته الداعية للحرب والغزو ويصرح بحكمة مفادها أن الموت خير من حياة في ظل الجوع والهزل وذلك في قوله :

« أقيموا بني لبنى صدور ركابكم، فكل منايا النفس خير من هزل
فإنّكم لن تبلغوا كل همّتي ولا أربي ، حتى تروا منبت الأئل»[3]

ف:عروة يجهر بدعوته للحروب والغزو من أجل تحقيق حياة أفضل يحيونها خير من حياة الذل والهوان.

3–ب– حكمة المروءة : إنّ حكمة المروءة في شعر الصعاليك كانت خلاصة للحياة التي عاشوها في الصحراء وكانت أيضا نتائج تجاربهم الاسية التي مروا بها، فنجد تأبّط شرّا يقول :

« وَأَجمَلُ مَوتِ المَرءِ إذ كانَ مَيِّتاً وَلابُدَّ يَوماً مَوتُهُ وَهوَ صابِرُ

[1]– ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص28.
[2]– ديوان عروة بن الورد ، ص79.
[3]– ديوان عروة بن الورد ، ص89.

وَخَفَّضَ جَأشي أَنَّ كُلَّ اِبنِ حُرَّةٍ إلى حَيثُ صِرتَ لا مَحالَةَ صائِرُ

وَأَنَّ سَوامَ المَوتِ تَجري خِلالَنا رَوائِحُ مِن أَحداثِهِ وَبَواكِرُ » [1]

فالشاعر هنا لا يرضى لنفسه ولغيره أن يموت ميتة الذّل فما هدأ من روعه أنّ كل الناس مصيرهم الموت والفناء ومن أراد الموت فلا بدّ أن يختار ميتة العز والشجاعة على ميتة الذّل.

3–جـ–حكمة النجاة من الموت والإغارة : على الرغم ممّا يتصف به الصعلوك من شجاعة وجرأة إلّا أنّه يؤثر الموت على الحياة والنجاة على الهلاك، لذل تمثل أحاديث الفرار وصوره ظاهرة واضحة وسمة من سمات شعره، ونجد ذلك واضحا في قول تأبّط شرّا :

« وَ لَمْ أَنْتَظِر أَن يَدْهَمُونِي كَأَنَّهُم وَرَئِي نحْلٌ فِي الخَّلِيّةِ وَاكِنَا

وَلَا أنْ تُصِيبَ النّافذَاتَ مقَاتِلِي وَلَمِ أَكُ بِالشَّدِ الذَّلِيقِ مُدابِنَا

فَأَرْسَلْتُ مثنيًا عنِ الشَّرِّ عَاطِفا وَقُلْتُ تَزَحْزَحْ لَا تَكُونَنَّ خَائِنَا » [2]

فالشاعر يتحدث هنا عن فراره وتركه رفيقا له لأنّه ما كان يستطيع أن ينتظره حتى يصلوا به مطاردوه الذّين كانوا وراءه كالنحل ولا يبطئ في سرعته حتى تصيبه سهامهم .

4– الكرم والجود : إذا أردنا أن نتحدث عن قيمة الكرم في شعر الصعاليك فإنّ أجدر من نبدأ به هو عروة بن الورد، فقد قال عنه عبد الملك بن مروان « من زعم أنّ حاتم أسمح النّاس فقد ظلم عروة بن الورد»[3]. فعروة بن الورد مثل مجتمع الصعاليك أجسن تمثيل من جانب الكرم والسخاء فأصبحت عنده مساعدة الآخرين وكأنّه واجب أخلاقي .

فعروة بن الورد زعيم الصعاليك كالأم الحنون مع جماعته يضحي في سبيلهم ويعطف عليهم ونلمس ذلك في قوله :

---

[1]– ديوان تأبط شرّا وأخباره ، تح علي ذو الفقار شاكر ، ص84.

[2]– ديوان تأبّط شرّا ، تح عبد الرحمان المصطاوي ، ص73.

[3]– يوسف خليف ، االشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص115.

« فإنّي وإيّاكم كذي الأم أرهنت ماء عينيها ، تفدي وتحمل»[1]

يخاطب هنا عروة أهل الكنيف فيقول لهم كأنّه وإيّاهم كامرأة لها ولد صغير تفديه مرة وتحمله مرة أخرى .

كما نلحظ وجود ألفاظ دالة على الكرم رغم الحرمان الذي عاشه الصعاليك، وذلك في قول الشنفرى :

« وإنّي لَحُلْوٌ إنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتي وَمُرٌّ إذا نَفْسُ العَزُوفِ اسْتَمَرَّتِ »2

فقوله إنّي حلو دل على اتصافه بالسخاء والكرم والعطاء لمن عامله بالحسنى، في حين أنّه قاس وشرس مع من خالفه وآذاه.

5– الشجاعة : عرف العربي بشجاعته وإقدامه والشجاعة عند الجاهلي تعني « الإقدام على الحياة والإقبال على كل ما فبها من ملذات وآلام دون خوف أو خجل » [3]. فالشجاعة إذا هي الجرأة والإقدام على المواقف الصعبة بقلب ثابت وبصورة متزنة.

وقد كان الصعاليك شجعانا أبطالا في الكرّ والفرّ وفي الغارات على القبائل وفي مواجهة أعدائهم فنلمح إقداما منقطع النظير في عدم الإكتراث بالحياة إذ أنّهم كانوا لا يبالون بالحياة وبمغرياتها.[4]

ومن صور الشجاعة قول الشجاعة قول الشنفرى مفتخرا بشجاعته ورفاقه في إحدى الغزوات :

« فَشَنَّ عَلَيْهِمْ هِزَّةَ السَّيْفِ ثَابِتٌ وَصَمَّمَ فيهِمْ بالحُسَامِ المُسَيَّبِ

وَظَلْتُ بِفِتْيَانٍ معي أتَّقِيهِمُ بِهِنَّ قليلاً سَاعَةً ثمَّ خَيَّبُوا

وَقَدْ خَرَّ مِنْهُمْ رَاجِلَانِ وَفَارِسٌ كَمِيٌّ صَرَعْنَاهُ وقَرْمٌ مُسَلَّبُ »[5]

---

[1]– ديوان عروة بن الورد ، ص92.

[2]– ديوان الشنفرى ، تح إميل بديع يعقوب ، ص38.

[3]– صالح مفقودة ، القيم الأخلاقية للعربي من خلال الشعر الجاهلي ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة بسكرة، ع1، ص191.

[4]– ينظر ، محمود حسن أبو ناجي ، الشنفرى شاعرا لصحراء الابي ، ص39.

[5]– ديوان الشنفرى ، ص28.

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن شجاعته ورفاقه في المعركة ووصف فتكه بالأعداء وظفره عليهم وعودته وأقرانه سالمين.

ويقول في موضع آخر واصفا شجاعته مع رفاقه في غزوة من غزواته:

« وَباضِعَةٍ حُمرِ القِسِيَّ بَعَثتُها وَمَن يَغزُ يَغنَم مَرَّةً وَيُشَمَّتِ
خَرَجنا مِنَ الوادي الَّذي بَينَ مِشعَلٍ وَبَينَ الجَبا هَيهاتَ أَنشَأتُ سُرَبتي
أُمَشّي عَلى الأَرضِ الَّتي لَن تَضُرَّني لِأَنكِيَ قَوماً أَو أُصادِفَ حُمَّتي
أُمَشّي عَلى أَينِ الغَزاةِ وَبُعدَها يُقَرَّبُني مِنها رَواحي وَغُدوَتي »[1]

يذكر الشاعر هنا كيف جهزوا أنفسهم للغزو وحملوا القسي التي تغيير لونها لما تلطخ بالدماء ، ووصف كيف أنّهم خرجوا راجلين وقد تعودت أقدامهم على المسير في وهج الشمس وحرارة الرمل، فقد خرجوا مصّرين على الجهد والعناء والتعب لتحقيق هدفهم وهو القتل والفتك والسلب والأخذ بالثأر.

6– الصبر : إنّ الظروف القاسية وصعوبة الحياة جعلت من الصبر سمة يتصف بها الشعراء الصعاليك وإنّ الدارس لشعرهم يُعجب من همتهم العالية وصبرهم على المشاق والأسى ويتضح ذلك في قول الشنفرى :

« وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ
وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أطْحَلُ »[2]

يتحدث الشاعر عن صبره لانعدام القوت فأمعاؤه من شدة الجوع ينطوي بعضها على بعض كأنّها حبال أتقن فتلها ورغم هذه الحال التي أصبح عليها لم يُبْد جزعا بل واجه هذا الوضع بالصبر والتصبر.

وإذا كان شعر الصعاليك يتضمن بعض القيم الإيجابية التي جعلت شعرهم يسمو ويتميز فهو من ناحية أخرى يتضمن بعض القيم السلبية كانت نتيجة الظروف التي عاشها الصعاليك آنذاك، ومن بين تلك **القيم السلبية** :

[1]– ديوان الشنفرى ، ص34–35.

[2]– ديوان الشنفرى ، ص63.

1–التغني بالسلب والنهب : ابيات الشعراء الصعاليك هي التي تحدد القيمة التي تتضمنها، ففي قول عمرو بن براقة الهمداني :

« تقولُ سُلَيْمى لاتَعَرَّض لتلَفة ولَيْلُكَ عنْ لَيْلِ الصَعَالِيك نائِمُ

وَكَيْف يَنامُ الّيْلَ من جُلُّ مالِهِ حسَامٌ كَلَوْنِ الملْحِ أَبْيَضُ صَارِمُ

غَمُوض إذا عضَّ الكرِيهَةَ لمْ يَدَعْ لَهُ طَعْمًا طَوْعَ اليَمِين ملازِمُ

أَلَمْ تَعْلَمِي أنّ الصَعَاليكَ نَوْمُهُم قَلِيلُ إذَا نَامَ الخلِيُّ المُسَالِمُ »[1]

فالواضح في هذه الأبيات أنّ الصعاليك هم أولئك المشاغبون الذّين يسهرون اللّيل في النهب والسلب والإغارة وليسوا هم أولئك الفقراء المعدمين الذّين لا يملكون شيئا.

كما يرد معنى الصعاليك ولا يراد به الفقراء، ولكن يراد به طوائف من قطاع الطرق كانوا منتشرين في أرجاء الجزيرة العربية ينهبون من يلقوه في صحرائها الرهيبة الموحشة، ويتلعبون به ويختطفونه، ويأكلون ماله وإلى جانب هذا كلّه نجد بعض المصادر العربية تذكر طائفة من الأسماء على أنّهم صعاليك العرب أو تقص أخبارا عن صعاليك بعض القبائل او تصف يعض الشعراء أنّهم من صعاليك العرب ممّا يشعر بأنّ هؤلاء الصعاليك كانوا يكوّنون طبقة متميزة من طبقات المجتمع الجاهلي .[2]

2–المراقب : نجد في شعر الصعاليك تحدثهم عن تربصهم بأعدائهم، وترصدهم لضحاياهم، وتحيّن الفرصة المناسبة لمهاجمتهم وكان التربص يتم من خلال المرتفعات العالية المشرفة على الطرق والمسالك بحيث يرون الناس ولا يرونهم والتي كانوا يسمونها المراقب، ويقومون بعملهم هذا مع بداية الليل لأن اللّيل أحسن للتخفي وأدل على جرأتهم وقوة قلوبهم .[3]

وفي هذا الصدد يقول الشنفرى :

[1]– عمرو بن برّاقة الهمداني ، سيرته وشعره ، شريف راغب علاونة ، ص75.

[2]– ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص25–26.

[3]– ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص187–188.

« وَمَرقَبَةٍ عَنقاءَ يَقصُرُ دونَها أَخو الضِروَةِ الرِجلُ الحَفِيُّ المُخَفَّفُ

نَعَبتُ إِلى أَدنى ذُراها وَقَد دَنا مِنَ اللَيلِ مُلتَفُّ الحَديقَةِ أَسدَفُ

فَبتُّ عَلى حَدَّ الذِراعَين مُجذِياً كَما يَتَطَوّى الأَرقَمُ المُتَعَطَّفُ »[1]

يصف الشاعر هنا كيف صعد إلى مرقبة عالية في شدة ظلام الليل وكيف قضى الليل فوقها متربصا قائما على ذراعيه.

3–التوعد والتهديد : تحدث الشعراء الصعاليك عن التوعد والتهديد في شعرهم، فالشنفرى مثلا يتوعد بني سلامان الذي يناصبهم العداء والبغضاء ويكرههم حتى العظم، لأنّهم كانوا السبب المباشر في حياته السيئة وتصعلكه فهو يتوعدهم ويهددهم ويتعهد أنّه لن يكف عن غزوهم، وكل ما يرجوه هو أن يمد الله بعمره حتى يشفي غليله منهم حين يلاقيهم في عقر دارهم.[2]

يقول الشنفرى :

« قَتَلنا قَتيلاً مُهدِياً بِمُلَبَّدٍ جِمارَ مِنًى وَسطَ الحَجيج المُصَوَّتِ

فَإِن تُقبِلوا تُقبِل بِمَن نيلَ مِنهُمُ وَإِن تُدبِروا فَأُمُّ مَن نيلَ فَيأتِ

جَزَينا سَلامانَ بنَ مُفرِجَ قَرضَها بِما قَدَّمَت أَيديهِمُ وَأَزَلَّتِ

وَهُنَّئَ بي قَومٌ وَما إِن هَنَأتُهُم وَأَصبَحتُ في قَومٍ وَلَيسوا بِمُنيَتي

شَفَينا بِعَبدِ اللَهِ بَعضَ غَليلِنا وَعَوفٍ لَدى المَعدى أَوانَ اِستَهَلَّتِ »[3]

هنا يصرح الشاعر أنّه انتقم ممّن قتل والده وشفى غليله من أولئك الذين جنوا جناية القتل وحرموه من حنان والده وما فعله ما كان غلّا انتقاما منهم .

[1]– ديوان الشنفرى ، ص52.

[2]– ينظر ، يوسف خليف ، ص191.

[3]– ديوان الشنفرى ، ص37.

ويقول في موضع آخر :

« فَإِن لا تَزُرني حَتَفتي أَو تُلاقِني أَمَشّي بِدَهوٍ أَو عِدافٍ بَنَوُّرا

أُمَشّي بِأَطرافِ الحَماطِ وَتارَةً تُنَفَّصُ رِجلي بُسبُطاً فَعَصَنصَرا

أُبَغّي بَني صَعبِ بنِ مُرٍّ بِلادَهُم وَسَوفَ أُلاقيهِم إِن اللَهُ أَخَّرا »[1]

هنا الشنفرى يتوعد بني سلامان توعدا عنيفا ويخبرهم أنّه ما لم بمت أحد منهم لن يكف عن غزوهم وعن توعدهم فالأمر عنده محسوم لأنّه واثق من قدرته على غزوهم والظفر بهم.

لامية العرب :

التعريف بلامية العرب:

تعد لامية العرب للشنفرى من أهم قصائد العصر الجاهلي، عرفت بلامية العرب دون سواها من لاميات الجاهليين، ولقد تناولها مشاهير الأدب واللغة بالشرح والتحليل، كما أعجب بها المستشرقون ولعّل من أسباب ولع الأدباء والمستشرقين بها جزالة ألفاظها، وتعبيرها الصادق عن حياة العربي وأخلاقه زمن الجاهلية، وعن حياة الصعاليك على وجه الخصوص، فلامية الشنفرى ترسم بدقة ملامح الجوانب المادية والفكرية في حياة الصعاليك على وتمثل التجسيد الحيّ لشخصية الصعلوك، فالشنفرى سجّل كل ما دار في شعورهم ليؤكد لنا أنّ الشعر يحمل بين طيّاته ظواهر جمالية تعكس وجود الشاعر كما أنّها « لا تقل مرتبة عن القصائد الجاهلية الأخرى فهي تصوير رائع للحياة العربية في العصر الجاهلي، وهي نشيد الصحراء والحرية والنفس العربية الحّرة الأبيّة التي لا تقبل الظلم، وبالإضافة إلى جودة اللغة وقوتها فإن لامية العرب قد امتلأت بالمعاني السامية والحكم الكثيرة. »[2] هذا ما جعلها تلقى اهتمام كبيرا من النقاد والشارحين والدارسين قديما وحديثا .

[1]- ديوان الشنفرى ، ص46-47.

[2]– عطاء الله بن أحمد المصري الأزهري ، نهاية الإرب في شرح لامية العرب ، تح عبد الله محمد عيسى الغزالي ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، 1992م ، ص14.

ولعّل من **أبرز شروح لامية العرب** :

- شرح أبي بكر بن دريد المتوفي سنة 321هـ.
- شرح التبريزي المتوفي سنة 502هـ.
- شرح محمد بن عمر الزمخشري المتوفي سنة 538هـ.
- شرح محمد بن القاسم بن زكور المغربي المتوفي سنة 1121هـ.
- شرح عبد الله بن الحسين العكبري المتوفي سنة 616هـ.[1]

قصيدة لامية العرب :[2]

1– أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

2– فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

3– وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

4– لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ سَرَى رَاغِبَاً أَوْ رَاهِبَاً وَهْوَ يَعْقِلُ

5– وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

6– هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

7– وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَرَائِدِ أبْسَلُ

8– وَإِنْ مُدَّتِ الأيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

9– وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ

10– وَإنّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيَاً بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

11– ثَلاَثَةُ أصْحَابٍ : فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

12– هَتُوفٌ مِنَ المُلْسَ المُتُونِ تَزِينُها رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَلُ

13– إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرنُّ وَتُعْوِلُ

14– وَأغْدو خَمِيصَ البَطْن لا يَسْتَفِزُّنِي إلى الزَادِ حِرْصٌ أو فُؤَادٌ مُوَكَّلُ

---

[1]– ينظر ، المرجع نفسه ، ص17–18.

[2]– ديوان الشنفرى ، تح إميل بديع يعقوب ، ص58.....73.

15– وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَه مُجَدَّعَةً سُقْبَانُها وَهْيَ بُهَّلُ

16– ولا جُبَّأٍ أكْهَى مُرِبٍّ بعِرْسِهِ يُطَالِعُها في شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

17– وَلاَ خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فؤادَهُ يَظَلُّ به المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

18– ولا خَالِفٍ دارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ يَرُوحُ وَيغْدُو داهناً يَتَكَحَّلُ

19– وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلَفَّ إذا ما رُعْتَهُ اهْتَاجَ أعْزَلُ

20– وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلاَمِ إذا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسّيفِ يَهْمَاءُ هوْجَلُ

21– إذا الأمْعَزُ الصَّوّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ منه قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ

22– أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ

23– وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

24– ولولا اجْتِنَابُ الذَأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ به إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

25– وَلكِنّ نَفْسَاً مُرَّةً لا تُقِيمُ بي على الذامِ إلاَّ رَيْثَما أَتَحَوَّلُ

26– وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ

27– وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنائِفَ أطْحَلُ

28– غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً يَخُوتُ بأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويُعْسِلُ

29– فَلَما لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

30– مُهَلَّلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كأنَّها قِدَاحٌ بأيدي ياسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

31– أوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ مَحَابِيضُ أرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

32– مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَها شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ

33– فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

34– وأغْضَى وأغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ به مَرَامِيلُ عَزَّاها وعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

35– شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ وَلَلْصَبْرُ إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أجْمَلُ

36– وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِراتٍ وَكُلُّها على نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ

37– وَتَشْرَبُ أسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَما سَرَتْ قَرَبَاً أحْنَاؤها تَتَصَلْصَلُ

38– هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وأسْدَلَتْ وشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

39– فَوَلَّيْتُ عَنْها وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ يُبَاشِرُهُ منها ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ
40– كأنَّ وَغَاها حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ أضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلِ نُزَّلُ
41– تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا كما ضَمَّ أذْوَادَ الأصَارِيمِ مَنْهَلُ
42– فَغَبَّ غِشَاشَاً ثُمَّ مَرَّتْ كأنّها مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ
43– وآلَفُ وَجْهَ الأرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِها بأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ
44– وَأعْدِلُ مَنْحُوضاً كأنَّ فُصُوصَهُ كعَابٌ دَحَاهَا لاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ
45– فإنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسْطَلٍ لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أطْوَلُ
46– طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لأيِّها حُمَّ أوَّلُ
47– تَنَامُ إذا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُها حِثَاثَاً إلى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ
48– وإلْفُ هُمُومٍ ما تَزَالُ تَعُودُهُ عِيَاداً كَحُمَّى الرِّبْعِ أو هِيَ أثْقَلُ
49– إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُها ثمّ إنّها تَثُوبُ فَتَأتي مِنْ تُحَيْتُ ومِنْ عَلُ
50– فإمّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِياً على رِقَّةٍ أحْفَى ولا أتَنَعَّلُ
51– فإنّي لَمَولَى الصَّبْرِ أجتابُ بَزَّهُ على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ
52– وأُعْدِمُ أحْيَاناً وأَغْنَى وإنَّما يَنَالُ الغِنَى ذو البُعْدَةِ المُتَبَذِّلُ
53– فلا جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ ولا مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أتَخَيَّلُ
54– ولا تَزْدَهِي الأجْهالُ حِلْمِي ولا أُرَى سَؤُولاً بأعْقَاب الأقَاوِيلِ أُنْمِلُ
55– وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وَأقْطُعُهُ اللَّاتي بِهَا يَتَنَبَّلُ
56– دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفْكَلُ
57– فأيَّمْتُ نِسْوَانَاً وأيْتَمْتُ إلْدَةً وَعُدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ أليَلُ
58– وأصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالساً فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ
59– فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْنَا: أذِئْبٌ عَسَّ أمْ عَسَّ فُرْعُلُ
60– فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أمْ رِيعَ أجْدَلُ
61– فَإنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأبْرَحُ طارِقاً وإنْ يَكُ إنْسَاً ما كَها الإنسُ تَفْعَلُ
62– وَيومٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ أفاعِيهِ في رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ

63– نَصَبْتُ له وَجْهي ولا كِنَّ دُونَهُ ولا سِتْرَ إلاَّ الأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَل

64– وَضَافٍ إذا طَارَتْ له الرِّيحُ طَيَّرَتْ لبائِدَ عن أعْطَافِهِ ما تُرَجَّلُ

65– بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ له عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسْل مُحْوِلُ

66– وَخَرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ

67– فألْحَقْتُ أُوْلاَهُ بأُخْرَاهُ مُوفِياً عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَاراً وَأَمْثُلُ

68– تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلي كأنّها عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُلاَءُ المُذَيَّلُ

69– ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأنّني مِنَ العُصْمِ أدْفى يَنْتَحي الكِيحَ أعْقَلُ

دراسة في لامية العرب:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ سَرَى رَاغِبَاً أَوْ رَاهِبَاً وَهْوَ يَعْقِلُ[1]

الشنفرى هنا يحاور قومه بعبارات تمتلئ بالعاطفة فهو يُعلم أهله برغبته في الرحيل لأنه لم يجد بينهم ما كان يبحث عنه ، فالهم والحزن الذي كان يعتلي الشاعر دفعا به إلى الرحيل لأن وسائل الرحيل كانت متوفرة ، وما كان سبب رحيله عن أهله إلا تجنبا للأذى والابتعاد عن قوم لايحبون قربه ولا يقدّرونه فهو يرى أنّ الأرض واسعة فهو يدعو لحياة الغزو والإباء والكرامة ورفض حياة الذّل لأنه رجل حر كريم لا يقبل الظلم ولا ترضى نفسه الضيم فحاجته لمكان يعوض مكان قبيلته جعله يختار مكانا واسعا يسع طموحاته التي يسعى إلى تحقيقها وإثباتها في الوقت نفسه .

[1]– ديوان الشنفرى، ص58–59.

أمّا نكران الشاعر لمجتمعه واستبدالهم بمجتمع ذي صفات حيوانية فهو تعويض منه عن النقص والحرمان الذي أحس به ، فيقول :

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَرَائِدِ أبْسَلُ [1]

فالشنفرى يرى أنّ الحيوانات أكثر وفاءا من أهله فهي لا تذيع سرّا ولا تخذل صديقا أيا كانت جريرته.

وَإنْ مُدَّتِ الأيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أكُنْ بَأَعْجَلِهِمْ إذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ[2]

يفتخر الشاعر بكرمه وعدم شجعه وخصاله الحميدة ، فهو ذو نفس رفيعة أبية وهو لا يستعجل أثناء تناوله الطعام على عكس غيره ، فذلك يرجع إلى أخلاقه فهو قنوع مكتفي ، كما نجد أن بعض االصعاليك رغم تناقضاتهم العديدة كانوا يتمتعون بقدر عظيم من الكرم والأدب.

وَإنّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيَاً بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ
ثَلاَثَةُ أصْحَابٍ : فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ تَزِينُها رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَلُ
إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى ثُرِنُّ وَتُعْوِلُ[3]

يضيف الشاعر هنا ما يكمل شجاعته عند وصفه لمن كفوه عن قومه ولازموه طول رحلته وهم ثلاثة: قلب شجاع لا يخاف ، وسيف مسلول من غمده ، وقوس ذو زينة ، كما تميّز في اختيار أوصاف زينة قوسه من أوصاف زينة المرأة ليضيف إليها صوت السهم الذّي يشبه صوت حنين امرأة ثكلى .

[1]– ديوان الشنفرى، ص59.
[2]– المصدر نفسه، ص59–60.
[3]– ديوان الشنفرى، ص60.

وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَه مُجَدَّعَةً سُقْبَانُها وَهْيَ بُهَّلُ

ولا جُبَّأٍ أكْهَى مُرِبٍّ بعِرْسِهِ يُطَالِعُها في شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

وَلاَ خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فؤادَهُ يَظَلُّ به المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

ولا خَالِفٍ داريَّةٍ مُتَغَزِّلٍ يَرُوحُ وَيغْدُو داهناً يَتَكَحَّلُ

وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلَفَّ إذا ما رُعْتَهُ اهْتَاجَ أعْزَلُ

ولَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلاَمِ إذا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسّيفِ يَهْمَاءُ هؤجَلُ

إذا الأمْعَزُ الصَّوّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ منه قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ[1]

في هذه الأبيات ينفي الشاعر عن نفسه صفات وبالمقابل يثبت صفات أخرى فهو ينفي : الظمأ السريع وينفي القسوة عن نفسه بل هو رحيم ، كما نجده ينفي أيضا الجبن والتعلق بالنساء ويثبت لنفسه الشجاعة وعدم الاهتمام بهم ، وينفي عن نفسه الخوف ويثبت لها الجرأة ،

كما نفى عن نفسه عدم الالتفات للآخرين لأنه دوما يقض ومتنبه وأنه لا يجهل دروب وسبل السير لأنّه ابن الطبيعة ويملك خبرة ودراية ، ويبيّن لنا أيضا مدى صبره على قسوة الارض التي يمشي عليها وكيف أنه لا يتأثر بها لأنه اعتاد على السرعة في السير والإقدام على المخاطر دون خوف.

نجد الشنفرى يمثل لنا خالص صبره وعظيم ثباته ثم يصور لنا حياته في الصحراء ونظرته للناس وعدم اهتمامه بالصعوبات ، فيقول :

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

ولولا اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ به إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

[1]– المصدر نفسه، ص61–62.

وَلكِنّ نَفْسَاً مُرَّةً لا تُقِيمُ بي على الذامِ إلاَّ رَيْثَما أَتَحَوَّلُ

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ

وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أطْحَلُ

غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً يَخُوتُ بأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويُعْسِلُ

فَلَما لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ[1]

يدور معنى هذه الأبيات حول صبر الشنفرى على الجوع ، ويفضل أن يستف ترب الأرض على أن يقبل الصدقة من أحد لأنه كان ذا نفس كريمة ابية مترفعه عن الضيم ، وهو يطوي أمعاءه كالخيوط من شدة الجوع وأنه يقدم على الزاد القليل بكدّه وتعبه ، كما نجده شبه نفسه بالذئاب التي تسعى جاهدة للحصول على قوتها هو وإخوانه الصعاليك الذين يلاقون الويلات في الحصول على لقمة العيش التي لا تأتي إلا بعد طول عناء.

مُهَلَّلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كأنَّها قِدَاحٌ بأيدي ياسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

أوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ مَحَابِيضُ أرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَها شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

وأغْضَى وأغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ به مَرَامِيلُ عَزَّاها وعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ وَلَلْصَبْرُ إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أجْمَلُ

وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِراتٍ وَكُلُّها على نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ[2]

[1]– ديوان الشنفرى، ص62-63-64.

[2]– ديوان الشنفرى، ص64-65.

أجاد الشاعر في وصف الذئاب نظرا للعشرة الطويلة بينهم فهو يصفها كأنه يصف نفسه فهو يقول أن هذه الذئاب هزيلة لشدة الجوع هاذا ما يتفق مع حال الصعاليك الذين كانوا يؤثرون الموت على قبولهم الصدقة من أي أحد فهو عرض لنا مدى قوة تحملهم وصبرهم على الجوع .

وَتَشْرَبُ أسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَما سَرَتْ قَرَباً أحْنَاؤها تَتَصَلْصَلُ

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وأسْدَلَتْ وشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

فَوَلَّيْتُ عَنْها وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ يُبَاشِرُهُ منها ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ

كأنَّ وَغَاها حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ أضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلِ نُزَّلُ

تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا كما ضَمَّ أذْوَادَ الأصَارِيمِ مَنْهَلُ

فَغَبَّ غِشَاشاً ثُمَّ مَرَّتْ كأنّها مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ[1]

يصف لنا الشاعر سرعته الفائقة في العدو فقارن بينه وبين القطا ففاقها في الجري والعدو كما أنّه اختار طائرا مشهور بالعدو وهي صورة أقرب للواقع من حيث بحث كل منهما عن الماء ليروي ظمأه.

وآلَفُ وَجْهَ الأرْضِ عِنْدَ افْتَرَاشِها بأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ

وَأعْدِلُ مَنْحُوضاً كأنَّ فُصُوصَهُ كعَابٌ دَحَاهَا لاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ

فإنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسْطَلٍ لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أطْوَلُ

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لأيِّها حُمَّ أَوَّلُ

تَنَامُ إذا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُها حِثَاثاً إلى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ[2]

يبرز الشاعر إلى جانب شجاعته افتراشه للأرض واتخذ من يده ووسادة لرأسه فلم يجد في وسائل الترف من هذا شيئا ، فبعدما كان أبا للحرب وسيدا لها أصبح مشردا بين الحيوانات ومطرود لكثرة الجرائم التي ارتكبها التي لازمته ولم تفارقه .

[1]– ديوان الشنفرى، ص66-67.

[2]– المصدر نفسه، ص67-68.

وإلْفُ هُمُومٍ ما تَزَالُ تَعُودُهُ عِيَاداً كَحُمَّى الرِّبْعِ أو هِيَ أثْقَلُ

إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُها ثمّ إنّها تَثُوبُ فَتَأتي مِنْ تُحَيْتُ ومِنْ عَلُ

فإمّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِياً على رِقَّةٍ أحْفَى ولا أَتَنَعَّلُ

فإنّي لَمَولَى الصَّبْرِ أجتابُ بَزَّهُ على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ[1]

يصور لنا الشاعر كيف كان الهم يلازمه ولا يفارقه وذلك لكثرة العذاب والقهر الذّي تعرض له ، وعلى الرغم من هزالة جسمه إلّا أنّه كان سيدا للصبر وهنا تتضح بطولته وشجاعته كما أنه شبه قلبه بقلب الذئب الذّي يملأه القوة والجرأة .

وأُعْدِمُ أَحْيَاناً وأَغْنَى وإنَّما يَنَالُ الغِنَى ذو البُعْدَةِ المُتَبَذِّلُ

فلا جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ ولا مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أتَخَيَّلُ

ولا تَزْدَهِي الأجْهالُ حِلْمِي ولا أُرَى سَؤُولاً بأعْقَاب الأقَاوِيلِ أُنْمِلُ[2]

يرى الشنفرى أن الفقر والغنى أمران متلازمان فأحيانا يكون الإنسان فقيرا وأحيانا أخرى غنيا ، وهذا الأخير يناله صاحب القلب الشجاع المغامر الذّي لا يبالي للحياة ، ثم يقول أنّه لا يبدي فقره للناس وذو كبرياء عندما يصبح غنيا ، وليس من عاداته أن يشي بين الناس ، وهاذا ما نلمسه عند الصعاليك أنهم أصحاب كبرياء وعزة نفس وتواضع.

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وَأَقْطُعَهُ اللَّاتي بِهَا يَتَنَبَّلُ

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفْكَلُ

فأيَّمْتُ نِسْوَانَاً وأيْتَمْتُ إلْدَةً وَعُدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ ألْيَلُ[3]

[1]– ديوان الشنفرى، ص68-69.

[2]– المصدر نفسه، ص69.

[3]– المصدر نفسه، ص69.

يبرز الشنفرى شدة معاناته والألم الذّي أحس به والأسى الذّي تعرض له إلّا أنه لبس لباس الصبر وتمسك به تمسكا لا حدود له ثم ذكر كيف قتل كثير من الناس الذّين كانوا تحت إمرته سواء كانوا من قاتلي أبيه أم من قاتلي والد زوجته ومدى افتخاره بقتل الرجال وإبقاء نسائهم أرامل لأنّه كان رجل يغير على قبائل كثيرة .

وأصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالساً فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْألُ
فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْنَا: أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ
فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأَبْرَحُ طارِقاً وإنْ يَكُ إنْسَاً ما كَها الإنسُ تَفْعَلُ[1]

يتحدث الشاعر عن شجاعته في إحدى غاراته حيث أنه أوقع الناس في حيرة من أمرهم وجعلهم يتساءلون عن الذي غزاهم وهجم عليهم فقد أوقعهم في اضطراب كبير لعدم فهمهم سبب هذا الهجوم .

وَيومٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ أفاعِيهِ في رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ
نَصَبْتُ له وَجْهي ولا كِنَّ دُونَهُ ولا سِتْرَ إلاَّ الأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَل
وَضَافٍ إذا طَارَتْ له الرِّيحُ طَيَّرَتْ لبائِدَ عن أَعْطَافِهِ ما تُرَجَّلُ
بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ له عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسْل مُحْوِلُ[2]

يصف الشاعر هنا صبره على أيام الحر الشديد ولم يكن يملك ما يحميه من أشعة الشمس و يقيه حرّها ولم يكن يهتم لذلك لأنه كان دائم الإنشغال بالغزو والفتك.

وَخَرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ
فألْحَقْتُ أُوْلاَهُ بأُخْرَاهُ مُوفِيَاً عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَاراً وَأَمْثُلُ
تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلي كأنّها عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُلاَءُ المُذَيَّلُ

[1]– ديوان الشنفرين ص70–71.
[2]– المصدر نفسه، ص71–72.

ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأنّني مِنَ العُصْمِ أدْفى يَنْتَحي الكِيحَ أعْقَلُ[1]

يعود الشاعر ويتحدث عن صبره ومدى تحمله في قطع أراضي الصحراء الصعبة وأنه على دراية تامة بجميع دروبها حيث أنه كان دائم الذهاب والمجيء فيها راجلا وليس راكبا ونجده يتأنس بالحيوانات لأنّه اتخذها خليلا له ورفيقا ملازما له طول رحلته .

وبعد هذه الدراسة التحليلية للامية الشنفرى نستنتج أنّها تحتوي على كثير من الخصال الحميدة والقيم الأخلاقية وأنها عبارة عن حكمة موجهة للإنسان فهي تحث على الصبر والقناعة والشجاعة كما تحمل في طياتها مكارم الأخلاق بكل معانيها ، وأيضا هي دعوة للإنسان لرد اعتباره وعدم تحمل الذّل والمهانة .

[1]– ديوان الشنفرى، ص72–73.

خاتمة

خاتمة :

إنّه لأمر يثلج الصدر، أن يجد المرء نفسه يقترب من خط النهاية لرحلة شغلت فكره ونحمد الله الذي كان أملنا الوحيد في لحظات اليأس التي ولدّتها الصعوبات والعوائق التي واجهتنا في طريقنا لإتمام هذا البحث، وبفضل من الله سبحانه وتعالى أتممنا بحثنا هذا، وقد توصلنا إلى النتائج الآتية :

أنّ المعنى المباشر للصعلكة هو الفقر، إمّا بمدلوله الواضح المباشر وهو التجرد وإمّا بالمضمر بآثاره كالهزال، وأنّها ظاهرة اجتماعية جاءت كرد فعل ضد الظلم الذي عانى منها الصعلوك فهي احتراف للسلوك العدواني بقصد المغنم، عرفنا أن الصعاليك هم جماعة احترفوا الغزو والفتك والقتال من أجل تحقيق العدالة وصبروا على الحياة و ظلمها، أنّ الصعلكة لم توجد من عدم بل كان وراء وجودها أسباب عديدة كالفقر والظلم .

تعرّفنا على أهم موضوعات شعر الصعاليك التي كانت تجسيدا لواقع حياتهم فحديثهم عن مغامراتهم بأدق التفاصيل، كما تحدثوا عن تربصهم لأعدائهم وعن كيفية فرارهم من أجل النجاة بحياتهم، رأينا أنّ الصعاليك كونوا مجتمعا خاصا بهم تولد عن تأثير الحياة الاجتماعية عليهم بعاداتها وتقاليدها فاختاروا تأسيس حياة جديدة لأنفسهم في سبيل تحقيق أهدافهم والحصول على حياة أفضل.

تعرفنا على مجموعة من الشعراء الصعاليك ولاحظنا أنهم عاشوا حياة صعبة عانوا فيها من القلق والظلم والحرمان ومن معاملة الناس القاسية لهم، وبهذا يمكننا القول أن الصعاليك انتقلوا من حياة الظلم والقسوة إلى حياة أصعب، إلّا أنّهم يرون فيها حرّيتهم.

أنّ شعر الصعاليك لم يكن حرفة للتكسب بل كان بمثابة سجل يسجلون فيه مغامراتهم ومشاعرهم وواقعهم الذّي يعيشونه.

أمّا البناء الفنّي الذّي تميز به شعر الصعاليك فكان اغلبه عبارة عن مقطوعات وذلك راجع لطبيعة حياتهم القلقة كما حرصوا على التصريع والسبب في ذلك ثورتهم على تقاليد مجتمعهم وتخلصوا من المقدمات الطللية واستبدلوها بالمقدمات الفروسية لتصوير بطولاتهم ومذاهبهم في الحياة.

أثار شعر الصعاليك بتفرعاته المتعددة جدل كبير حول تفسير وتحليل هذا الشعر الذي دعا إلى هدم وقيم ومثل سائدة وإحلال قيم ومثل جديدة غيرها .

أنّ لامية العرب عبرت أشد تعبير عن حياة العرب عامة وعن حياة الصعاليك خاصة بما فيها من طباع وأخلاق.

وفي الأخير ما يسعنا القول إلا أن شعر الصعاليك على الرغم من الإهمال الذي لقيه إلا أنه يعد فنا راقيا معبرا يحمل الكثير من المعاني والقيم .

وأخيرا نسأل الله أن يغفر ويمحو الزلل، وأن يوفقنا لأحسن القول والعمل، والحمد لله على ما وفق وأنعم، والله تعالى أعز وأعلم وأكرم.

قائمة

المصادر

والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط ، ج1 .
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، مج8، 1863م.
- أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، تح عبد الستار أحمد نزاج ،دار الثقافة ، بيروت –لبنان،ط5، 1981م.
- الأصمعي، الأصمعيات، تح أحمد محمد شاكر، د دار نشر ، بيروت ،لبنان، ط5.
- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس ، شرح محمد حسين، منشورات مكتبة الآداب، مصر، دط.
- ديوان الشنفرى، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996م.
- ديوان الصعاليك، ديوان الشنفرى ويليه السّليك بن السّلكة وعمرو بن براق ، تح طلال حرب، الدار العالمية ، بيروت ، لبنان ، 1993م.
- ديوان امرؤ القيس ، تح محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4
- ديوان تأبّط شرّا وأخباره، تح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م.
- ديوان حاتم الطائي، تحقيق أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م.
- ديوان عروة بن الورد، تح أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، د ط،1992م.
- ديوانا عروة بن الورد والسموأل، ديوان السموأل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1982م.
- عبد الرحمان المصطاوي، ديوان تأبّط شرّا، دار المعرفة، بيروت–لبنان ،2003م، ط1.

المراجع:

- أبي الحسن الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، شرح محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط4، 1985.
- أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط2
- الأصفهاني ، الأغاني ، ط8، 1990م .

- حسن جعفر، نور الدّين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، دار رشاد برس، بيروت، لبنان، ج2، 2002م.
- شريف راغب علاونة ، ثلاثة شعراء مقلّون ، دائرة المطبوعات للنشر والتوزيع، عمان ، ط1، 2007م.
- شريف راغب علاونة ، عمرو بن برّاقة الهمْداني ، سيرته وشعره ، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005م.
- عبد الحليم حفنى، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية للكتاب، د ط،1987م.
- عبد عون الروضاني، موسوعة شعراء العصر الجاهلي، دار أسامة ، عمان، الأردن ، ط1 ، 2001م.
- عطاء الله بن أحمد المصري الأزهري ، نهاية الإرب في شرح لامية العرب ، تح عبد الله محمد عيسى الغزالي ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، 1992م.
- غازي ظليمات ، الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه فنونه ، دار الارشاد ، حمص ، ط1992،1م.
- يحي الجبوري، الشّعر الجاهليّ خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، 1986م، ط5.
- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط3.
- أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط5.
- أحمد عوين، من قضايا الشعر الجاهلي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2002م.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد للنشر، ج9، ط2 ، 1993م.
- سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الجاهلي ، دار المسيرة ، عمان –الأردن ،ط1، 2011م.
- شريف راغب علاونة، عمرو بن براقة، سيرته وشعره، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن،2005م، ط1.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط11، ج1.

- عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2003م.

- عبدو بدوي ، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، المكتبة المصرية العامة للكتاب،

- عصام بشير العوف، فقهاء الاسلام وشعراء العربية، د دار نشر، ط2، 2010.

- عفيف عبد الرحمان، الشعر الجاهلي، حصاد القرن، دار الأندلس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

- غازي ظليمات ، الأدب الجاهلي قضاياه ،أغراضه ،أعلامه، فنونه ، دار الارشاد ، حمص، ط1، 1992م.

- محمد أبو ربيع، في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، د ط.

- محمود حسن أبو ناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، سحب الطباعة الشعبية للجيل، الجزائر، 2007م.

د ط ، 1988م.

-واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994م.

المجلات:

- مجلة آفاق للحضارة الإسلامية، ع25.

- مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، ع1.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات :

شكر و تقدير

اهداء

مقدمة

مدخل : الاطار المفاهيمي لظاهرة الصعلكة

تمهيد.....5

العصر الجاهلي.....5

الصعلكة.....6

1-أ-في اللغة.....7

1-ب- في الاصطلاح.....8

1-جـ- في الأدب 9

2-نشأة وأسباب الصعلكة.....10

2-1- نشأة الصعلكة.....10

2-2- أسباب الصعلكة 11

2-2-أ-الفقر.....11

2-2-ب-الظلم.....12

2-2-جـ-قسوة البيئة.....12

2-2-د-التمرد على القبيلة.....13

3- موضوعات شعر الصعاليك.....13

3-أ/ الفخر.....13

3-ب/ المغامرة.....14

3-جـ/ أحاديث الفرار.....15

3-د/ وصف الأسلحة.....15

المظاهر الاجتماعية وأثرها في حياة الصعاليك.....16

الفصل الأوّل : الشعراء الصعاليك بيوبيبليوغرافيا

بيوبيبليوغرافيا الصعاليك.....19

1- عروة بن الورد.....19

حياته ونسبه.....19

شعره وديوانه.....20

2- الشنفرى.....21

حياته ونسبه.....21

شعره وديوانه.....22

3- تأبّط شرّا.....23

حياته ونسبه.....23

شعره وديوانه.....24
4- السّليك بن السّلكة.....25
حياته ونسبه.....25
شعره و ديوانه.....26
5- السّموأل.....26
حياته و نسبه.....26
شعره و ديوانه.....26
6- حاجز بن عوف الأزدي.....27
حياته ونسبه.....27
شعره.....27
7- مالك بن حريم الهمداني.....28
حياته ونسبه.....28
شعره وديوانه.....28
8- صخر الغيّ.....29
حياته ونسبه.....29
شعره وديوانه.....30
9- عمرو بن براقة الهمداني.....31

حياته ونسبه.....31

شعره وديوانه.....31

10- قيس بن الحدادّية.....32

حياته ونسبه.....32

شعره.....32

شعر الصعاليك.....33

ثقافة الصعاليك.....35

الظواهر الفنية في شعر الصعاليك.....36

1-شعر مقطوعات.....36

2-الوحدة الموضوعية.....36

3- التخلص من المقدمات الطللية.....37

4- عدم الحرص على التصريع.....37

5- التحلل من الشخصية القبلية.....38

6- السرد القصصي.....38

7- الواقعية.....39

8- الخصائص اللغوية.....39

الفصل الثّاني: القيم في شعر الصعاليك –لامية العرب أنموذجا–

القيم في شعر الصعاليك 42
1–العفة والشرف 42
2– الوفاء والاخلاص 44
3– الحكمة 45
3–أ–حكمة الخلاص من الفقر والجوع 46
3–ب– حكمة المروءة 46
3–جـ–حكمة النجاة من الموت والإغارة 47
4– الكرم والجود 47
5– الشجاعة 48
6– الصبر 49
1–التغني بالسلب والنهب 50
2–المراقب 50
3–التوعد والتهديد 51
لامية العرب 52
التعريف بلامية العرب 52
قصيدة لامية العرب 53

دراسة في لامية العرب 56

خاتمة.....65

المصادر والمراجع 65